أحاديث النهي عن الغلو في الدين

دراسة بلاغية

إعداد الدكتور

تامر محمد أحمد حجازي

الأستاذ المساعد في قسم البلاغة والنقد

بكلية اللغة العربية - فرع جامعة الأزهر بإيتاي البارود

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

أحاديث النهي عن الغلو في الدين دراسة بلاغية تحليلية

تامر محمد أحمد حجازي
قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الالكتروني : drtamer@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يدور هذا البحث حول مجموعة من أحاديث النبي ﷺ التي ينهى من خلالها عن الغلو في الدين والتشدد فيه، وهي سبعة أحاديث تشتمل على النهي عن الغلو في العقيدة، والنهي عن الغلو في العبادة، وقد تناولها البحث بالدراسة البلاغية التحليلية، ليبرز من خلالها بلاغة النبي ﷺ في تبرمه من التشدد والمتشددين، ويعرض لنا الصورة الصحيحة للإسلام، متمثلة في الوسطية والاعتدال، والبعد عن التنطع والمغالاة في الدين.

الكلمات المفتاحية: الغلو . النهي . التشدد . المنبت . إطراء . السهم . تقالّوها.

Hadiths forbidding exaggeration in religion, a rhetorical and analytical study

Tamer Mohamed Ahmed Hegazy
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language at Itay Al-Baroud, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail: drtamer@azhar.edu.eg

Abstract:

This paper is a collection of the teachings of the prophet (the prophet), through which he will eliminate religious overtones and fundamentalism. Peace be upon him-in his weariness. Islam is characterized by moderation, moderation and distance Of abdication and over religion

Keywords : Hyperbole – Forbidding – Militancy – Seedbed Compliment – Arrow - Talk to her .

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ،،،

فهذا بحث كتبته في موضوع من أخطر الموضوعات التي نعيشها اليوم، بل وعاشتها الأمة كلها على مدى التاريخ، وهو الغلو في الدين .

ولخطورة الموضوع وأهميته آثرت الكتابة فيه؛ حيث وقعت عيني على مجموعة من أحاديث المصطفى ﷺ تعالج هذا الموضوع بلباقة وأريحية وبلاغة وإيجاز يتوافق مع سهولة الإسلام وبساطته، وتتلاءم مع يسره وبعده عن التشدد والمغالاة، وتعكس لنا كذلك نفسا مفعمة بالمرونة والأريحية تتمتع بالفهم الثاقب لطبيعة البشر .

الدراسات السابقة:

لا شك أن موضوع النهي عن الغلو في الدين من الموضوعات المطروقة دائما، لا سيما في زماننا هذا الذي ظهرت فيه بعض مظاهر العنف والتشدد، وقد كثرت المقالات والخطب والأحاديث حول هذا الموضوع، وظهرت فيه بعض الدراسات الدعوية والتربوية.

ومن أبرز ما وقعت عليه عيناي . بعد البحث والتنقيب . دراستان:

ـ الأولى: تتصل بالموضوع اتصالاً مباشراً، من حيث التخصص والموضوع، لكنها تختلف عنه اختلافا كليا، بحيث تعد الوجه الثاني للدراسة، وقد جاءت بعنوان: [من البلاغة النبوية في بيان يسر الإسلام في العبادات البدنية "الطهارة والصلاة والصوم والحج"]

إعداد الدكتور/ محمد صبري محمد بهيتة المدرس في قسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق جامعة الأزهر الشريف، وقد نشرت في مجلة الكلية في عددها السادس عشر ٢٠١٦م .

وقد درس فيها الباحث عدة أحاديث يبين فيها النبي ﷺ يسر الإسلام في الطهارة والصلاة والصوم والحج، وهي تعالج منحى مختلفا عن منحى هذا البحث الذي يتناول أحاديث النهي عن الغلو في الدين.

فالحديث عن هذا الموضوع له شقان:

- شق يتعلق بالحديث عن سماحة الإسلام ويسر الدين وبيان ذلك في حديث النبي ﷺ، وهو ما نهضت به الدراسة المذكورة.

- والشق الثاني يتعلق بأحاديث النبي ﷺ التي نهى فيها عن الغلو في الدين، وهو ما عالجته في بحثي هذا.

فالدراستان وجهان لعملة واحدة، تكمل إحداهما الأخرى.

. أما الدراسة الثانية: فهي تتعلق بالجانب الدعوي والتربوي والنفسي، وقد جاءت تحت عنوان: [الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة . دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية]، تأليف: عبد الرحمن بن مُعلّا اللويحق، مؤسسة الرسالة . الطبعة الثانية . ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م

وهو كتاب يُعنى بدراسة مظاهر الغلو في حياة المسلمين المعاصرة، وهو في الأصل رسالة ماجستير قدمت لقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونوقشت بتاريخ ١٤١٢/١/١٣هـ.

وقد درس فيها الباحث ظواهر الغلو في الفترة بعد عام ١٣٨٥هـ إلى اليوم، عند المسلمين المعاصرين في تلك الفترة ونقدها في ضوء النصوص والقواعد الشرعية، وهو موضوع دعوي يبحث عن المشكلات والحلول ووسائل الحماية.

كما يبحث عن الجذور التاريخية والفكرية والنفسية لظاهرة الغلو في حياة المسلمين المعاصرة، وحجمه مع التعرض لمظاهر الغلو العقدية عند الجماعات المتطرفة والتكفيرية، وكذلك الغلو الفردي في التشديد على النفس وتحريم الطيبات، وغير ذلك مما يتصل بتلك الظاهرة.

خطة البحث:

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهارس.

بينت في المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث وخطته، وذكرت في التمهيد المعنى اللغوي للغلو وأسبابه وأنواعه، وجعلت المبحث الأول بعنوان: (أحاديث النهي عن الغلو في العبادة دراسة بلاغية)، وقد اشتمل على خمسة أحاديث .

والمبحث الثاني عنوانه: (أحاديث النهي عن الغلو في العقيدة دراسة بلاغية)، وتناولت فيه حديثين.

وعملي يتمثل في التحليل البلاغي لتلك الأحاديث واستنباط الأسرار البلاغية، مع الموازنة بين الروايات متى وجدت.

وقد قدمت أحاديث النهي عن الغلو في العبادة؛ لكثرتها أولا؛ ولانتشار تلك الظاهرة، وتمسك أصحابها بالمظاهر الشكلية، فالدين ليس تقصير ثوب أو إطلاق لحية، وليس رهبانية مبتدعة، وإنما الدين أخلاق ومعاملات، هي ثمرة العبادة المستقيمة البعيدة عن الشطط والتعمق والمغالاة.

وربما فاقت الأحاديث هذا العدد بقليل، لكنني اخترت منها ما يتصل بالموضوع مباشرة، وفي نفس الوقت يغني عن غيره؛ لاشتماله على معناه، وإن اختلفت المواقف، حتى لا يطول البحث ولا نقع في التكرار.

ثم ذكرت في الخاتمة أبرز الظواهر البلاغية التي اتسمت بها أحاديث النهي عن الغلو في الدين، مبرزا الخيوط التي تربطها ووشائج القربى والعلائق والصلات.

ثم جاءت الفهارس الفنية وهي تتمثل في فهرس الأحاديث النبوية، ثم فهرس المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

وبعد ،،،

فهذا جهدي أقدمه بين يديك أيها القارئ الكريم، كتبته راغبا في إضاءة الطريق أمام من يتنكبون السير، ويضلون في طرائق الشيطان، مجتهدا في

ذلك قدر الوسع والطاقة، مبتغيا إرضاء ربي ونيل شفاعة المصطفى ﷺ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فإذا كان التوفيق حليفي فمن الله وحده، وإن تكن الأخرى فمني ومن الشيطان، والله منه براء، وهو حسبي ونعم الوكيل، والله من وراء القصد.

كتبه: تامر محمد أحمد حجازي

تمهيد

المعنى اللغوي

الغلو هو مجاوزة الحد، ومنه الغَلاءُ: نَقيضُ الرُّخْصِ، يقال: غَلا السِّعْرُ وغيرُه يَغْلُو غَلاءً، ممدود؛ ومنه قول عمر، رضي الله عنه: "لا تُغالوا صُدُقات النساء"، وفي رواية: "لا تُغالوا صُدُقَ النساء"، وفي رواية: "في صَدُقاتِهنَّ"، أَي لا تُبالِغُوا في كثرة الصَّداقِ، وأَصلُ الغَلاء الارتفاعُ ومُجاوَزة القَدْرِ في كلِّ شيء، وغَلا في الدِّينِ والأَمْر يَغْلُو غُلُوّاً: جاوَزَ حَدَّه.

وفي التنزيل: "لا تَغْلُوا في دينِكم"؛ وفي الحديث: "إِياكم والغُلُوَّ في الدين" أَي التَّشَدُّدَ فيه ومجاوَزة الحَدِّ، كالحديث الآخر: "إِنَّ هذا الدينَ مَتِينٌ فأَوْغِلْ فيه بِرِفْقٍ"، وقيل: معناه البحثُ عن بواطنِ الأَشْياء والكَشْفُ عن عِلَلِها وغَوامِضِ مُتَعَبَّداتِها؛ ومنه الحديث: "وحاملُ القرآن غيرُ الغالي فيه ولا الجافي عنه"، إِنما قال ذلك لأَنَّ من آدابه وأَخلاقِه التي أَمرَ بها القَصْدَ في الأُمورِ، وخيرُ الأُمورِ أَوْساطُها. (١)

ومن خلال ما ذكره ابن منظور في معنى الغلو، يتبين لنا أن الغلو هو مجاوزة الحد في كل شيء .

وهو ممقوت ومذموم حتى في أمور الحياة، والوسطية في كل شيء هي المنهج السوي المستقيم.

أسباب الغلو:

والمتعمق في أحوال الغالين عموما، والغالين في الدين خصوصا، يجد أن هؤلاء جميعا أصحاب عقد نفسية خطيرة، وأمراض نفسية مدمرة، ويبدو أنهم لم يكتفوا بإضلال أنفسهم وإنما حرصوا على إهلاك الآخرين، وهذا جزء من فلسفتهم المعقدة في الحياة.

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور: غلا . دار الحديث . القاهرة ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٣م

وقد أسسوا فكرهم وبنوا معتقداتهم على جهل مركب في الدين، ولو استجابوا للعلماء لعالجوا قصورهم ولجبروا كسورهم، ولتحولوا من معاول هدم في المجتمع إلى لبنات بناء، لكنهم لا يعلمون.

ولقد حدثت بالفعل بعض مظاهر الغلو والتشديد على النفس في زمن النبوة الأولى، من بعض الصحابة . رضوان الله عليهم . لكنها كانت بدافع الحرص الشديد على الوصول للكمال البشري ما أمكنهم ذلك، ومع ذلك نهاهم النبي ﷺ عنها بشدة فانتهوا ووقفوا عند حدود النهي ملتزمين بما وضحه لهم النبي الكريم من سهولة ويسر هذا الدين الجليل.

إن الدين الإسلامي دين مؤسس على اليسر والسهولة في شتى تشريعاته، ينطلق من قاعدة علمة ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[الحج: ٧٨]

ومبدإ أرساه نبي الإسلام: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ،... »[(١)]

والمغالاة في الدين والتشدد فيه ليس من شيم المسلمين المعتدلين، وإنما هو سمة بارزة عند غلاة اليهود والنصارى، وقد نهاهم القرآن عن ذلك

قال تعالي: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾[النساء:

(١) ينظر : صحيح البخاري: ١ / ١٦ حديث رقم : ٣٩ المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر . الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

١٧١]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة: ٧٧]

أنواع الغلو:

والغلو في الدين نوعان:

غلو في العقيدة، ويكون بتقديس البشر وربما يصل ذلك إلى عبادتهم كما حدث من أهل الكتاب، وهو يتمثل في إطراء الأنبياء، أو الصحابة، أو الأولياء والصالحين، وكل ذلك محرم في ديننا.

والنوع الثاني: غلو في العمل، ويكون بإلزام النفس بما لم يلزمها به رب العباد، كصيام الدهر كله، وقيام الليل كله، وترك الرخص، وعدم الزواج والنظر للمرأة على أنها شيطان رجيم، وكثرة السؤال بغير حاجة، إلى آخر مظاهر الغلو في العبادة، وكلها منهي عنها.

المبحث الأول

أحاديث النهي عن الغلو في العبادة

دراسة بلاغية

الحديث الأول

(إن هذا الدين متين)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلاَ تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لاَ أَرْضًا قَطَعَ، وَلاَ ظَهْرًا أَبْقَى» (١)

رواية أخرى:

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ موقوفا عليه، قَالَ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا بَلَغَ بُعْدًا، وَلَا أَبْقَى ظَهْرًا، وَاعْمَلْ عَمَلَ امْرِئٍ يَظُنُّ أَنْ لَا يَمُوتَ إِلَّا هَرِمًا، وَاحْذَرْ حَذَرَ امْرِئٍ يَخْشَى أَنْ يَمُوتَ غَدًا»(٢)

المعنى العام وسبب ورود الحديث:

هذا حديث نبوي شريف يبين فيه النبي ﷺ قوة ومتانة الإسلام، ويوضح أنه يستمد قوته ومتانته من يسر تعاليمه وسهولة تشريعاته، وبعدها عن التشدد الممقوت والتنطع المذموم.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي : ٣ /١٨ حديث رقم : ٤٩٣١ الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد الطبعة : الطبعة : الأولى . ١٣٤٤ هـ

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ») : ١ / ٤٦٩ حديث رقم : ١٣٣٤، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

ويبدو أن رسول الله ﷺ قد انكشف أمامه . من خلال سلوك البعض أو عن طريق الوحي . أنه سيكون هناك كثير من المتنطعين المتشددين في الدين، يفسدون على الناس حياتهم ودينهم، فأراد أن يوضح من خلال هذا الحديث الشريف أنه لا مجال في ديننا للعنف والمشقة وتكليف النفس ما لا تطيق، فخير العمل أدومه وإن قل.

التحليل البلاغي للحديث:

وقد بدأ ﷺ حديثه الشريف بتلك الجملة الخبرية: "إن هذا الدين متين" والخبر هنا له دلالة تقريرية قوية على متانة الدين الإسلامي وقوته، فقد أخبر عن الدين بصيغة المبالغة "متين" وهي على وزن فعيل، [1]، وقد بين الشُّرّاحُ أن المتين هو الصُّلب الشديد.[2]

ووصف الدين بالمتانة راجع لقوته في تشريعاته ومبادئه التي تضمن السعادة والقوة لأتباعه في الدارين.

وهو وصف حسيٌّ يستعمل في المحسوسات، وقد استعمل هنا مع المعنويات وهو الدين الإسلامي؛ إمعانا في تشخيص قوة الإسلام الحنيف بصورة قوية تراها الأبصار وتلمسها الأيدي وتسمعها الآذان في شتى مجالات الدين.

---

(١) المتن من كل شيء ما صلُب ظهره، والمتين القوي، والمتن ما ارتفع من الأرض واستوى، والمتن: الخيط الذي يُضرب به الفسطاط، والمتين في صفات الله: القويّ ذو الاقتدار الشديد . ينظر: لسان العرب: متن

(٢) ينظر: التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ : ٤ /١٤٣ ، ١٤٤ المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ) المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم . الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض . الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

وقد ساق الإمام الزمخشري مادة (متن) في سياق المحسوسات؛ ثم قال: "ومن المجاز: رأي متين وشعر متين، وماتنه في الشعر: عارضه"(١)

وهذا يؤكد ما ذكرته سابقا من أن الأصل فيها أن تستعمل في المحسوسات، واستعمالها هنا في المعنوي مجاز بالاستعارة المكنية؛ حيث شبه الدين في قوته بحبل أو شيء محسوس قوي فيه متانة، أو شبهه بظهر الإنسان وما اشتد من لحم منكبيه، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الصفة "متين" على سبيل الاستعارة المكنية، وفي إثبات المتانة للدين استعارة تخييلية قرينة المكنية.

قال الشريف الرضي: "ووصف الدين بالمتانة ههنا مجاز، والمراد أنه صعب الظهر، شديد الأسر، مأخوذ من متن الإنسان، وهو ما اشتد من لحم منكبيه، وإنما وصفه عليه الصلاة والسلام بذلك؛ لمشقة القيام بشرائطه، والأداء لوظائفه، فأمر عليه الصلاة والسلام أن يدخل الإنسان أبوابه مترفقا، ويرقى هضابه متدرجا، ليستمر على تجشم متاعبه، ويمرن على امتطاء مصاعبه"(٢)

ووراء ذلك إبراز لمتانة الدين وقوة تشريعاته، وأنه قوي لا يُغلب ولا يُقهر، كما قال في الحديث الآخر: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ،... » وهو بهذا ينقلنا إلى حلبة حقيقية للصراع بين الدين وبين المتشددين فيه، ليقطع عليهم الأمل في التماس الثغرات في دين الله، وأن من تسول له نفسه من المرتزقة المأجورين الذين يدّعون أنهم يحافظون على الدين ويدافعون عن حماه، من تسول له نفسه النيل منه فإنه واهم يخادع نفسه، وسوف يرجع يجر أثواب الخيبة؛ لأن الدين متين لا يُقهر ولا يُغلب.

---

(١) ينظر: أساس البلاغة للإمام الزمخشري: مادة: متن . الهيئة العامة لقصور الثقافة . سلسلة الذخائر ٢٠٠٣م

(٢) المجازات النبوية للشريف الرضي: ١٥٠ علق عليه ووضع حواشيه: كريم سيد محمد محمود . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان

وقد عرف المسند إليه باسم الإشارة "هذا" تعظيما لشأن الدين والتنويه بقدره، ووراءه إشارة إلى استحضار الدين الإسلامي ماثلا أمام أذهاننا وعقولنا حاضرا في قلوبنا.

والملاحظ أن النبي ﷺ لم يبدأ حديثه الشريف بأسلوب أمر أو نهي أو أي أسلوب إنشائي، وإنما ابتدأه بصيغة الخبر؛ ليقرر تلك الحقيقة في النفوس، وكأنه يمهد بهذا الخبر للأمر والنهي الذي يأتي بعد، حتى تنزجر النفس عن التشدد في الدين وترتدع في ثوب من القناعة بالدليل والبرهان.

والغرض من الخبر: فائدة الخبر؛ وهو بيان قوة الدين وعدم تسرّب خلل أي خلل إلى مبادئه وتشريعاته؛ ليغلق الباب أمام الغالين المتشددين.

ومجيء الخبر مؤكدا بمؤكدين وهما "إن" واسمية الجملة راجع . كما قلت . إلى أهمية الخبر في ذاته، وقد يكون لدحض إنكار الغالين، ولا تعارض بينهما وهي على غرار قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء: ٩]

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور تعليقا على الآية الكريمة: "وَتَأْكِيدُ الْجُمْلَةِ مُرَاعًى فِيهِ حَالُ بَعْضِ الْمُخَاطَبِينَ وَهُمُ الَّذِينَ لَمْ يُذْعِنُوا إِلَيْهِ، وَحَالُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الِاهْتِمَامِ بِهَذَا الْخَبَرِ، فَالتَّوْكِيدُ مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَيَيْهِ دَفْعِ الْإِنْكَارِ وَالِاهْتِمَامِ، وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ الِاعْتِبَارَيْنِ".(١)

ولما كان الخبر بمثابة التوطئة والتمهيد للأمر والنهي بعده، جاء قوله ﷺ: "فأوغل فيه برفق" (٢).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ): ١٥/ ٤٠ الناشر: الدار التونسية للنشر– تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

(٢) الإيغال: السير السريع، وقيل: الشديد والإمعان في السير، ويقال: وغل في الشيء وغولا: دخل فيه وتوارى به وقد خُصّ ذلك بالشجر ...ثم ذكر الحديث وقال: يريد سر فيه برفق وابلغ الغاية القصوى منه بالرفق، لا على سبيل التهافت والخرق، ولا تحمل على نفسك وتكلفها ما لا تطيقه، فتعجز وتترك الدين والعمل. ينظر: لسان العرب: وغل

والفاء للسببية؛ فما قبلها سبب في إيراد الأمر الذي يليها، وإذا كان في المعنى اللغوي للإيغال معنى السرعة والشدة، فإن هذا لا يتعارض مع مفهوم الحديث القائم على الرفق والتؤدة والتوسط والبعد عن المغالاة والتشدد، غاية الأمر أننا نلمح في معنى السرعة والشدة في الإيغال الإشارة إلى ضرورة أخذ الدين بحزم وجدية، فهو معنى يشير إلى عدم التهاون فيه، ولذلك عبر النبي ﷺ بهذا اللفظ الحامل لمعاني الشدة والسرعة "فأوغل" وكأنه يريد بداية ألا يفتح باب التهاون والتساهل في أمور الدين اعتمادا على النهي عن الغلو فيه، فنقع في التفريط المؤدي إلى ضياع الدين، هذا أمر وأمر آخر يفهم من معنى السرعة أو السير السريع لمادة الإيغال، وهو أن على المسلم أن يسارع إلى الالتزام بتعاليم دينه وأن يسلم لأمر الشرع دون تردد، والمسارعة هنا أو المسابقة تضمن لك السبق إلى النجاة، فقد يسبق الأجل دون سابق إنذار.

كل هذا مستفاد من المعنى اللغوي لكلمة "فأوغل" وهي معان ثرية تفيض بها الكلمة المنتقاة بعناية فائقة من النبي ﷺ.

والمخاطب هو كل مسلم لذا أفرد الخطاب؛ ليُشعرك بالمسؤولية الفردية؛ وقد وردت رواية أخرى بالجمع ولا تعارض بينهما، فهو موجّه لعموم الأمة، ويُستفاد من قول ابن منظور "وغل في الشيء وغولا: دخل فيه وتوارى به وقد خص ذلك بالشجر" أن الإسلام يُعدّ لنا بمثابة الستر الذي نتوارى فيه، يحفظ علينا حياتنا وأعراضنا وأموالنا ودِيننا وعقلنا.

ولذلك جاء الجار والمجرور "برفق" متعلقا بفعل الإيغال، ليدل على ضرورة مصاحبة الرفق لكل تعاليم الإسلام، وحرف الظرفية " فيه" يشير إلي انغماس المسلم في شتي فروع الإسلام وشمول الإسلام لكل مجالات الحياة، والأمر هنا علي حقيقته؛ لأنه يعالج مسألة عقدية التهاون فيها يؤدي إلي الخروج من الدين بل والإضرار به بتنفير الناس عنه.

وبالنظر كيف جمع النبي ﷺ بين الحزم والعزم وبين الشدة واليسر وبين استيعاب كل تعاليم الإسلام لكن برفق عن طريق الطباق المفهوم معنى بين "

أوغل " و"برفق" وذلك من بدائع بلاغته ﷺ وإنها لعمري بلاغة عجيبة أن تتوغل في الشيء وتتعمق فيه لكن برفق وتؤده، وذلك كله راجع لمتانة الدين وقوته المعبر عنها بالجملة السابقة "إنَّ هذا الدين متين".

وقد أتبع ﷺ هذا الأمر بنهي آخر وهو قوله: "ولا تبغض إلي نفسك عبادة الله"[1] وكأنه تعليل للإيغال برفق في الدين، والنهي هنا علي حقيقته وقد جمع بين الجملتين ووصل بينهما بالواو لما بينهما من التوسط بين الكمالين، فكلتاهما إنشائية لفظاً ومعني ويعملان في سياق واحد وهو سياق الحث علي اللين والرفق والبعد عن التشدد في الدين، وحمل النهي هنا علي حقيقته وهي الوجوب أولي؛ لأن المتشدد الغالي في الدين يضيق ذرعاً بما ألزم به نفسه مما لم يوجبه الشرع ولم يلزمه به، وقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص . رضي الله عنه . حين قال لرسول الله ﷺ إني أجد قوة في نفسي . يعني علي الصيام . أكثر من صيام البيض، فقال له: "صم صيام داود" يعني نصف الدهر، ثم كان يقول بعدَ ذلك: لأن أكونَ قَبلْت رخصةَ رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ مما عدِل به أو عَدَل، لكِنِّي فارقتُه علَى أمر أكرهُ أن أُخالفَه إلى غيره.[2]

فقد ينفر المرء من الطاعة استثقالًا لها، لاسيما وأنها نافلة وتطوع، والاقتصاد في ذلك يحبب عبادة الله إليك، واختار ﷺ النفس "إلي نفسك" ولم يقل إليك مثلاً؛ لأن النفس هي الراغبة المبغضة؛ ولأن ذلك يكون أشد ثقلاً علي النفس وأعظم وطأةً، فإذا بغضت النفس العبادة نفرت منها وتركتها، وإضافة العبادة لله تشعر بجرم الفعل الذي اقترفه المتشدد، والتشديد في الفعل

(١) البغض والبِغضة: نقيض الحب، والبغض: المقت والكره. ينظر: لسان العرب: بغض

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٦/ ٣٢ حديث رقم : ٦٤٧٨ . المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) . المحقق: أحمد محمد شاكر . الناشر: دار الحديث – القاهرة . الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

"ولا تبغّض" يوحي بتغلغل الكراهية والبغضاء وثقل العبادة علي النفس إثر التشدد فيها.

إن جملة النهي "ولا تبغض إلي نفسك عبادة الله" قائمة علي التعبير الحقيقي بعيداً عن أي مجاز وهي مع ذلك تعبر في أريحية وسلاسة عن العاقبة المشؤومة لفعل الغالين في الدين من العزوف عن الطاعة وبغضها جملة وتفصيلا، وتلك مصيبة كبري أن يبغّض المسلم نفسه في عبادة الله ويبغّضها إلي نفسه بنفسه، ولاشك أن الأخرين سيكونون أشد لها بغضا وأكثر نفوراً وكراهيةً، فيكون بذلك قد ضر نفسه وأضر غيره وأضر بشريعة الإسلام.

قال في بحر الفوائد: "فَإِذَا تَحَمَّلُوا مِنْهَا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ مَلُّوا، فَتَرَكُوهَا، وَفِي تَرْكِهَا تَرْكُ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ أَفْعَالِ عِبَادِهِ، وَلَا يَزِيدُهُ طَاعَتُهُمْ، وَلَا يُنْقِصُهُ مَعْصِيَتُهُمْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُمْ إِظْهَارَ فَقْرِهِمْ إِلَيْهِ، وَرُؤْيَةَ اضْطِرَارِهِمْ إِلَيْهِ، وَعَجْزَهُمْ لِيُغْنِيَهُمْ، وَيُقَوِّيَهُمْ" [(١)]، وبعد أن قرر ﷺ تلك الحقيقة وأمر ونهى، علل ذلك كله بقوله: « فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لاَ أَرْضًا قَطَعَ ، وَلاَ ظَهْرًا أَبْقَى»[(٢)]

فالمتنطعون في الدين الغالون فيه ينقطع بهم الطريق سريعا، لأنهم أجهدوا أنفسهم وحملوها ما لا تطيق، يقول ابن حجر: "المنبت: يعني المتشدد في

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار : ٢٠٠ المؤلف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: ٣٨٠هـ) المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م

(٢) قال في لسان العرب: "البت: القطع المتأصل .. وأبتّ الرجل بعيره من شدة السير، والانبتات: الانقطاع .. ورجل منبت: أي منقطع به، وأبت بعيره: قطعه بالسير، والمنبت في الحديث: الذي أتعب دابته حتى عطب ظهره فبقي منقطعا به، يريد أنه بقي في طريقه عاجزا عن مقصده ولم يقض وطره" ينظر: لسان العرب: بت.

الدين كالمنقطع في المفاوز، فهو إلى الهلاك أقرب، ولو أنه رفق براحلته واقتصد في سيره عليها لقطعت به سفره وبلغ إلى المنزل"[١]

وقد ساق النبي ﷺ كلامه هنا مجرى المثل، ليكون ذلك قاعدة حياتية في كل أمور الدين والدنيا مشبها حال الغالين بحال هذا الذي أجهد راحلته حتى انقطعت به في منتصف الطريق فلم يصل إلى الغاية.

قال الإمام البغوي: "وَالْمُنْبَتُّ: الَّذِي انْقَطَعَ فِي سَفَرِهِ، وَعَطِبَتْ رَاحِلَتُهُ، فَشَبَّهَ الْمُجْتَهِدَ فِي الْعِبَادَةِ حَتَّى يَحْسِرَ بِالَّذِي يُتْعِبُ نَفْسَهُ فِي السَّيْرِ بِلا فُتُورٍ حَتَّى تَعْطَبَ دَابَّتُهُ، فَيَبْقَى مُنْبَتًّا مُنْقَطِعًا، لَمْ يَقْضِ سَفَرَهُ، وَقَدْ أَعْطَبَ ظَهْرَهُ".[٢]

وعلى هذا ففي التعبير السابق تشبيه تمثيلي جاء في ثوب الضمني؛ حيث شبه ﷺ حال المتشدد في الدين الغالي فيه بإلزام نفسه بما لم يلزمه به الله من النوافل والطاعات، مما لا يطيقه البشر، فيقع بسبب ذلك في الملل والتقصير، بل ترك العبادة وبغضها إلى نفسه . شبه حاله بحال المسافر الذي يتعب راحلته ويجهدها بالسوط ويمريها بالساق إمعانا في تحقيق السرعة في الوصول، لكنها لا تتحمل وتتعثر في منتصف الطريق، وينزل بها الكلال والإعياء فتقعد في مكانها فيخسر دابته ولا يصل إلى غايته، ووجه الشبه بين الحالين هو الهيئة الحاصلة من الإقدام على فعل أو سلوك غير سوي ولا

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٥٣/١ المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرين . الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية. . الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة . الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م

(٢) شرح السنة للبغوي : ٤/ ٥١ ، ٥٢ المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) . تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش . الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت . الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

مقبول، مما ينتج عنه عاقبة وخيمة في الانقطاع والكلال والملل، وعدم تحقيق الغاية في الوصول إلى الهدف.

يقول الشريف الرضي: "وشبه عليه الصلاة والسلام العابد الذي يحسر منته، ويستنفد طاقته، بالمنبت، وهو الذي يغذّ السير، ويكد الظهر، منقطعا من رفقته، ومنفردا عن صحابته، فتحسر مطيته، ولا يقطع شقته، وهذا من أحسن التمثيلات ، وأوقع التشبيهات."(١)

ووراء التشبيه تصوير حسي لحالة وهيئة الغالي في الدين الذي ألزم نفسه بما لم يجب عليه ثم سرعان ما انقطع، بتلك الصورة الحسية الرائعة لهذا المسافر، وكأنه يقول لنا نحن في هذا الحياة مسافرون في رحلة طويلة تحتاج الزاد والراحلة، ولنا محطة وصول هي الآخرة، فلنحافظ على أنفاس رواحلنا ولنبق زادنا؛ فإن السفر طويل، والرحلة شاقة، والظافر فيها هو من يصل للغاية بأقرب طريق وأيسره، هو من ييسر ولا يعسر، هو من يرفق بنفسه وبعباد الله لا من يتشدد وينفر الناس من دين الله ويضيق عليهم الدين والحياة.

ومجيء التشبيه في صورة التشبيه الضمني أضفى على الصورة البيانية هالة من الواقعية والمصداقية؛ حيث ساق القضية بدليلها، وشفع الحكم بالبرهان.

إنها صورة بيانية راقية تنقلنا من رحلة الدنيا إلى رحلة الآخرة، ومن انقطاع الهمم والفتور في الطاعة إلى علو الهمم والنشاط لتحقيق الغاية، والوصول إلى محطة الأمن والأمان التي يرجوها المسلم من رحلة الحياة.

وبالنظر إلي التأكيد في تلك الجملة التعليلية وهو بإنَّ واسمية الجملة؛ وذلك للاهتمام بالخبر ودحض إنكار الغالين االمتشددين ومقاومة جهلهم وصلفهم في الدين، والاشتقاق الصرفي لكلمة المنبت وهي اسم مفعول من بته والانبتات:

---

(١) المجازات النبوية: ١٥٠

الانقطاع . كما سبق . يشير إلي شيئين: أنه الفاعل للبت؛ لأنه الذي أجهد راحلته فصار منبتا وهو المعني الثاني أي منقطعاً بانقطاع راحلته، فأضر بغيره وبنفسه، فكذلك المتشدد ضار مضر منقطع عن الوصول لغاية .

وتنكير (أرضاً وظهراً) يشير إلي العموم وقد يفهم منه معني القلة؛ أي لم يقطع أي مسافة ولو يسيرة، ولم يبق له سنداً من ظهر، أي ظهر ولو كان هزيلاً .

روايات الحديث:

وفي رواية عبد الله بن عمرو بن العاص: « فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا بَلَغَ بُعْدًا، وَلَا أَبْقَى ظَهْرًا، وَاعْمَلْ عَمَلَ امْرِئٍ يَظُنُّ أَنْ لَا يَمُوتَ إِلَّا هَرِمًا، وَاحْذَرْ حَذَرَ امْرِئٍ يَخْشَى أَنْ يَمُوتَ غَدًا»(١)

وهذه الرواية أظهرت أنَّ المنبت لم يبلغ غايته وهي الإبعاد في الأرض والسفر: "لا بلغ بعدا" وإنما انقطع قريباً قبل الوصول، والتقديم في الرواية الأولي: "لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقي" يفيد قصر القطع المنفي علي تلك الأرض، وقصر الإبقاء المنفي علي الظهر، وفي هذه الرواية الثانية تسلط النفي علي البلوغ والإبقاء: "لَا بَلَغَ بُعْدًا، وَلَا أَبْقَى ظَهْرًا"؛ ليبين من أول نظرة إخفاقه في تحقيق الغاية، وخيبته بخسارة راحلته، وهو ما يفيد أنَّ المتشدد في الدين يحيط به الهلاك والخسران من كل ناحية.

وقوله: "وَاعْمَلْ عَمَلَ امْرِئٍ يَظُنُّ أَنْ لَا يَمُوتَ إِلَّا هَرِمًا، وَاحْذَرْ حَذَرَ امْرِئٍ يَخْشَى أَنْ يَمُوتَ غَدًا"

الجملتان قائمتان علي تشبيهين بليغين: أي اعمل كعمل امرئ، واحذر كحذر امرئ، والمراد أنه ﷺ شبه ما يجب أن يكون عليه المسلم من توسط واعتدال في الطاعة والعبادة بحال رجل يظن أنه سيعيش طويلاً ولا يدركه الموت إلا هرما ومن ثم أمامه المجال مفتوح للعمل بأريحية، فما فاته اليوم قد

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك: ١/ ٤٦٩ حديث رقم ١٣٣٤

يتداركه غداً، وهي صورة تؤكد الرفق في أول الحديث : "فأوغل فيه برفقٍ" أي لا تكد نفسك وتتشدد عليها وكن بها رحيماً متوسطاً في الطاعات والمداومة مع التوسط خير من الانقطاع مع التشدد.

وقد تداخلت جملة القصر: "أَنْ لَا يَمُوتَ إِلَّا هَرِمًا" حيث قصر الموت علي الهرم وهو قصر إضافي أي لا شباباً يراد منه القلب، وهو يدعم التشبيه؛ حيث إنَّ من يعيش طويلاً يجد الفرصة أمامه لتحسين علاقته بالله، وما أجمل فعل الظن هنا؛ لأنه توقع لا قطع فيه ولا جزم، ولكنه يحمل المرء علي التريث والبعد عن التشدد في الدين كما ورد في الحديث

عَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ ».(١)

وهذه الجملة راجعة إلي الرفق في صدر الحديث، أما التشبيه الثاني وهو قوله: "وَاحْذَرْ حَذَرَ امْرِئٍ يَخْشَى أَنْ يَمُوتَ غَدًا" فقد شبه فيه حال المؤمن وهو حذر وجل يجدُّ في العبادة ويحرص عليها بحال من يخشي أن يموت في الغد القريب، وهو هنا راجع إلي قوله في صدر الحديث: "فأوغل" ومتوافق مع ما ينبغي أن يأخذ به المسلم نفسه من الحيطة والحذر، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وما أجمل التعبير بفعل الخشية "يخشي" ! فهو يوحي بامتلاء القلب بالخوف المدعوم بالرجاء، وتحذير المؤمن بفعل الحذر هكذا: "وَاحْذَرْ حَذَرَ امْرِئٍ يَخْشَى أَنْ يَمُوتَ غَدًا" يجعل القلب حاضراً متهيئاً للموت في أي لحظه.

وما أجمل تعاقب تلك الأفعال القلبية في سياق الحث علي حياة القلوب بالطاعة بعيداً عن تكليفها ما لا تطيق! وقد توالت أفعال الظن والحذر

(١) سنن أبي داود: ١ / ٥١٩ حديث رقم : ١٣٧٠، المؤلف : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني . الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت

والخشية، وكلها أفعال قلبية تعمل علي تحريك نوازع الإيمان في قلب المسلم واستعداده للقاء الله.

وما أجمل طباق السلب بين "ألا يموت" و "أن يموت" أحدهما يجعلك تتمسك بحبال الأمل المؤذنة بطول العمر ومن ثم البعد عن كد النفس وتنفيرها بالإثقال عليها، والثاني يخلع قلبك استعداداً للقاء الله في الغد القريب.

إنَّ الحديث كله بنظمه ورواياته يمثل قطعة واحدة متماسكة يرجع ثانيه إلي أوله، ويسلمك صدره إلي عجُزه وتأخذ الكلمات فيه بتلابيب بعضها ليظهر لنا حقيقة هذا الدين الإسلامي الحنيف القوي المتماسك المتين وهو يستمد قوته من وسطيته ويسره وبعده عن الغلو الفاحش والمغالاة المفرطة والتنطع الفارغ، فشأن المسلم دائماً أن يكون وسطاً في عبادته، وسطاً في طاعته، بعيداً عن التشدد وإلزام النفس مالا تطيق مع الحرص علي عدم التهاون في الطاعات والفرائض، أو إهمال الأصول، وأن يعيش المسلم دائماً بجناحين يطير بهما إلي الله ﷻ هما الخوف والرجاء. والجملتان: "وَاعْمَلْ عَمَلَ امْرِئٍ يَظُنُّ أَنْ لَا يَمُوتَ إِلَّا هَرِمًا، وَاحْذَرْ حَذَرَ امْرِئٍ يَخْشَى أَنْ يَمُوتَ غَدًا" بينهما مقابلة ولا يمكن أن نأخذ إحداهما دون الأخرى؛ لأن العمل بالأولي وحدها تفريط، والعمل بالثانية وحدها إفراط، ومن ثم ظهرت قيمة المقابلة بين الجملتين وأنَّ الأكمل هو التوسط بينهما وهو مراد النبي ﷺ.

وفي تذييل الحديث الشريف بقوله ﷺ: "فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لاَ أَرْضًا قَطَعَ، وَلاَ ظَهْرًا أَبْقَى" بلاغة عالية؛ حيث يمكن الاستشهاد بعجُزه في المواقف المشابهة، فهو تذييل جري مجري المثل، فكثيراً ما نقوله عند طلب التوسط في كل شيء، بحيث صار قاعدة حياتية عامة نسير عليها في أمور الدنيا والدين.

الحديث الثاني

(إياكم والغلو في الدين)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ «الْقُطْ لِي حَصًى» فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ «أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ، فَارْمُوا» ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»(١)

المعنى الإجمالي وسبب ورود الحديث:

هذا حديث آخر من أحاديث النبي ﷺ التي نهى فيها عن الغلو في الدين وحذّر منه بشدة؛ لأنه سبب هلاك الأمم السابقة حين شددوا فشدد الله عليهم .

وإذا كان الحديث السابق يدعو إلى التوسط والاعتدال وعدم التشدد والعنف في الدين كله، بل في الحياة كلها بعدم إلزام نفسك بما لم يوجبه الشرع الحكيم، فإن هذا الحديث ورد في مقام العبادات، حيث ذكره النبي ﷺ وهو يؤدي فريضة الحج، ويُفهم ذلك من تحديد الزمان في قول الراوي: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: غَدَاةَ الْعَقَبَةِ" والغداة هي وقت الغدو وهو وقت الصباح يوم جمرة العقبة، أي يوم النحر، حين أراد ﷺ التحلل الأصغر برمي أولى الجمرات.

وقد تناول ﷺ سبع حصيات لرمي الجمرات مبينا يسر الدين في ذلك رافضا التشدد والمغالاة بتكليف النفس ما لا تطيق.

التحليل البلاغي :

وقد بين الراوي الهيئة التي كان عليها رسول الله ﷺ بقوله: "وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ"؛ ليبين أنه ﷺ كان راكبا ناقته ورمى وهو عليها ولم ينزل، ويفهم من

(١) سنن ابن ماجه: ٢ / ١٠٠٨ حديث رقم : ٣٠٢٩ . المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

ذلك مشروعية جواز الرمي من الركوب، فليس الترجل شرطا، وهذا يعد بمثابة التهيئة والتمهيد لبيان السهولة واليسر في أداء العبادات.

وبعد أن بين الراوي الزمان والهيئة ذكر ما قاله له رسول الله ﷺ وهو قوله: «الْقُطْ لِي حَصًى» وهو أمر الغرض منه بيان أن الدين قائم على السهولة واليسر بعيدا عن التشدد والمغالاة في فهم فروع الإسلام؛ فالمراد: القط لي حصى أي حصى، صغيرة كانت أو كبيرة دون مبالغة أو حرص على كبر حجمها "وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه مثل الرمي بالحجارة الكبيرة على أنه أبلغ من الصغار". (١)

والتنكير في "حصى" يفيض بظلال وارفة من البساطة والسهولة والتيسير.

يقول ابن عباس . رضي الله عنهما . فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ "(٢)، قال في أساس البلاغة: "خذف بالحصى: رمى بها من بين أصابعه"(٣)، والفاء في قوله: "فلقطت" تشير إلى السرعة والتعقيب، ووراءها إشعار بسرعة امتثال أوامره ﷺ من قبل الصحابة . رضي الله عنهم أجمعين . وقد حدد العدد بسبع؛ لأن المشروع في الرمي هو سبع حصيات دون المبالغة في حجمها صغر أو كبر، ولذلك بينها عبد الله بن عباس بقوله: "هن حصى الخذف" أي الرمي.

وهذا بيان لصغر حجمها، وهو بيان يسير في نفس الغرض العام من الحديث، وهو التأكيد على عدم التشدد أو أخذ الدين بالرأي والاجتهاد، إذ لا

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير : ٤ / ٢٩٩

(٢) قال في مختار القاموس :"الخذف كالضرب رميك بحصاة أو نواة أو نحوهما تأخذه بين سبابتيك تخذف به " ينظر: مختار القاموس : خ ذ ف المؤلف : الطاهر أحمد الزواوي . الدار العربية للكتاب . ليبيا . ١٩٨٠

(٣) أساس البلاغة : خذف

اجتهاد مع النص، إذ قد يظن البعض أن كبر حجم الحصى أوقع أثرا في القبول.

يقول ابن عباس: " فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ "، والنفض: التحريك، أي جعل ﷺ يحركهن، أي الحصيات السبع في يده وهو يقول : وهذا الفعل منه ﷺ تقرير عملي على ضرورة عدم الإيغال أو التوغل والتعمق والتشدد والغلو في الدين، فإنما هي حصيات الغرض منها اتباع السنة وإقامة الشعيرة وليس في الدين تعنت أو تعسف.

وقد أتبع ﷺ هذا الفعل والحركة للحصيات بقوله: «أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ، فَارْمُوا» وهو أمر صريح الغرض منه الحقيقة، وفيه كذلك معنى الإرشاد إلى القصد والاعتدال، والبعد عن الغلو باختيار الحجارة الكبيرة والحرص عليها اعتقادا من الرامي أنها أكمل.

وقد قدم ﷺ المفعول به «أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ» على فعله « فَارْمُوا» حتى يضعها في قلب وسمع وبصر المتلقي حاضرة ماثلة فتكون أبلغ في الاتباع والبعد عن الابتداع.

وقد أتبع هذا الأمر بقوله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»

والمراد بالغلو في الدين : التشديد فيه ومجاوزة الحد في العمل والبحث عن غوامض الأشياء والكشف عن عيبها وغوامض متعبداتها في العلم(١)، وهو أسلوب تحذيري صريح استعمل فيه رسول الله ﷺ أسلوب النداء أولا لجموع الناس: يا أيها الناس، والغرض من النداء التنبيه على خطورة وأهمية ما يقع بعده، وتحفيز الهمم وشد الانتباه إلى المسارعة إليه.

(١) التنوير شرح الجامع الصغير : ٤ /٢٩٨

وهي صيغة ندائية متعارفة تستعمل في المقامات المزلزلة عند توجيه الأوامر والنواهي أو إلقاء المواعظ والتشريعات، وقد اختار ﷺ لفظ الناس في هذا المقام ولم يقل مثلاً: (يا أيها المؤمنون) أو (يا أيها الذين امنوا)؛ ليطبع كلامه بالطابع الإنساني العام، فالغلو ممقوت عند بني البشر عموماً، ومذموم عند الناس كل الناس بمختلف عقائدهم، هذا أمر، والأمر الآخر أنه ﷺ أراد أن يبين للناس كل الناس أن الإسلام دين قائم علي التسامح ونبذ العنف والتشديد والمغالاة في شتي شئون الحياة، ووراءه إلماح إلي عموم رسالته ﷺ لكل الناس، لاسيما أنه قال ذلك وقد عم الإسلام البلاد ودخل الناس في دين الله أفواجا، وقد كان ذلك في العام الذي حج فيه رسول الله ﷺ أي قبيل وفاته مباشرة .

ثم أطلق تحذيره قائلاً: " إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ" أي احذروا التشدد فيه ومجاوزة الحد وعليكم بالاتباع لا بالابتداع.

وقد جاء أسلوب التحذير صريحاً بأداته الموضوعة له في الأصل وهي: "إياكم" ليشير إلي خطورة الأمر وأن المحذر منه شيء خطير قد يؤدي إلي ضياع الدنيا والدين، ووراءه انعكاس لشدة حرصه ﷺ علي مصلحة أمته وعلي الرفق بهم ودلالتهم علي طريق النجاة والبعد عن طريق الهلاك.

والغلو: من الغلاء وهو نقيض الرُخص[1]، فالغلو فيه معني التعمق والمبالغة ومجاوزة الحد بابتداع ما ليس في الدين، أو بتعظيم وتقديس البشر،

(١) وأصل الغلاء: الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء وغلا في الدين يغلو جاوز حده .. وأفرط فيه .. وفي الحديث "إياكم والغلو في الدين" أي التشدد فيه ومجاوزة الحد، كالحديث الأخر: "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق"، وقيل معناه: البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامض متعبداتها، ومنه الحديث: "وحامل القران غير الغالي فيه ولا الجافي عنه"؛ إنما قال ذلك لأن من آدابه وأخلاقه التي أمر بها القصد في الأمور وخير الأمور أوساطها لسان العرب: غلا

أو بإلزام النفس بما لم يلزمها به رب العباد، وهذا كله غلو ممقوت لا يقبله الإسلام، ونحن أمة متبعة لا مبتدعة شعارنا الوسطية والاعتدال .

وقد جاء الجار والمجرور: "في الدين"؛ ليبين بشاعته ونفور الفطرة السليمة عنه؛ إذ ليس في أمر عادي وإنما هو غلو في الدين، والدين هو صمام الأمان للإنسان، فإذا بني علي غلو فسد وإذا فسد هلك صاحبه .

ثم علل ﷺ النهي عن الغلو في الدين بقوله: "فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"، وهي جملة تعليلية لما قبلها تشير إلي أن سبب هلاك الأمم السابقة هو غلوهم في الدين .

وإنما كان الغلو في الدين سبب الهلاك؛ لأن فيه مضادة لحكم الله تعالي، حيث إنه شرع لعباده ما لا يشق عليهم، فإذا سلك الشخص مسلك التشديد فكأنه يعتقد أن التشريع الإلهي غير كافٍ، فكان معترضاً علي الله تعالي مستوجباً لعقابه(١).

والجملة مبنية علي أسلوب القصر "فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ" مصدرة بفاء التعليل، وهو قصر حقيقي تحقيقي؛ لأن سبب هلاك الأمم السابقة وإن تعدد إلا أنه راجع إلي الغلو في الدين.

قال في التنوير بشرح الجامع الصغير: "ولا يعارض ما تقدم من أنهم هلكوا بالشح؛ لأنه أريد بالهالكين بالشح غير الهالكين بالغلو أو لأن الغلو مما يدخل تحت الشح من حيث إنه مبالغة في الحرص على العمل أو الاعتقاد أخرجه عن هدي أشرف العباد ﷺ"(٢).

فالإفراط أو التفريط مردود في ديننا وكلاهما غلو إما بالزيادة أو النقصان وقد أظهر ﷺ في موضع الإضمار في قوله: « إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ،

(١) شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى» : ٢٦ / ٣٢ المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي الناشر: دار المعراج الدولية للنشر

(٢) التنوير: ٢٩٩/٤

فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»؛ حيث كان يمكن أن يقال: (فإنما أهلك من كان قبلكم) ويضمر ضمير الغلو في الدين وهو مفهوم لأنه سبق ذكره، لكنه أظهره باسمه تبشيعا له وتنفيراً منه وخروجا بالكلام علي خلاف مقتضي الظاهر؛ لأن الغلو شذوذ عن الطبيعي ومخالفة للفطرة السوية.

وعموم الاسم الموصول "من" يجعل الهلاك عاماً لكل غالٍ ممن سبقنا من الأمم دون تحديد لأمة بعينها وفي ذلك إشارة إلي أنه سنة ربانية لا تتخلف عمن يرتكب هذا الجرم البالغ، وأننا سنكون مثلهم حين نقع في مثل ما وقعوا فيه.

ووراء ذلك إشارة إلي أن دين الله كله واحد في كل زمان ومكان وهو دين التوحيد والإسلام: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهو دين الفطرة السوية وهو كله قائم علي الوسطية والاعتدال دون تطرف بإفراط أو تفريط؛ لكنَّ البشر هم من يغالون ويحرفون ويبدلون ويتشددون، فيشدد الله عليهم ويعرضون بذلك أنفسهم للهلاك والعذاب.

لقد لمس النبي ﷺ في هذا الحديث باباً خطيراً من أبواب الهلاك بسبب الانحراف الفكري والغلواء والمبالغة الممقوتة التي منشؤها تحكيم العقل وترك شرع الله، وكأن الغالي يعرف مالا يعرفه رب العباد، وهذا باب شر عظيم وهلاك عميم وفساد عظيم، وانظر إلي براعته ﷺ في توظيف المواقف الدعوية، وهو في مقام عبادة هي رمي الجمرات، لكنه يستثمر المقام عملياً ليجمع بين الزجر القولي والعملي، وهو وإن كان في أمر قد يظن البعض أنه يسير، إلا أنه يفتح باباً عظيماً من أبواب الشر بالغلو والمغالاة، فأراد ﷺ أن يجتثه من جذوره ويقضي عليه في مهده الأول، وليبين أنَّ أسباب الغلو تبدأ بأشياء صغيرة يهونها أمام ناظريك الشيطان ثم لا تلبث أن تكبر شيئا فشيئا حتي يقع المسلم في الغلو والمخالفة فيقع في الهلاك، ولا شك أن العدوي . أعني عدوي المغالاة . ستنتقل إلي من يجاوره ويسمعه، فتقع الأمه في متاهة الغلواء ومفسدة التشديد المؤذن بالهلاك.

الحديث الثالث

(أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ)

٥٠٦٣ – حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(١)]

المعنى العام وسبب ورود الحديث:

في هذا الحديث يقص علينا راويه وهو سيدنا أنس . ﷺ . قصة هؤلاء الرهط الثلاثة، وفي رواية مسلم من حديث ثابت عن أنس أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ، والفرق بين الرهط والنفر أن الرهط من ثلاثة إلى عشرة، والنفر من ثلاثة إلى تسعة، وكل منهما اسم جمع لا واحد له، ولا منافاة بينهما من حيث المعنى ، وهؤلاء هم : علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعثمان بن مظعون.[(٢)]

---

(١) صحيح البخاري : ٧ /٢ حديث رقم : ٥٠٦٣

(٢) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري : ٢٠ /٦٥ المؤلف: أبو محمد محمود ابن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

فقد جاء هؤلاء الثلاثة الكرام من أصحاب النبي ﷺ يسألون عن عبادته في السر . كما في بعض الروايات ـ أي عمله فيما بينه وبين ربه ممن لا يراه الناس، كقيام الليل والصيام وغيرهما .

ويؤكد ذلك أنهم توجهوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ لأنهم أقرب الناس منه، ويبدو من مطلع الحديث أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ حرصوا أشد الحرص على التأسّي بأخلاق النبي ﷺ وعبادته وطاعته وتقربه لله . عز وجل . فلذلك جاءوا يسألون عن عبادته .

فلما أخبروا عنها كأنهم عدوها قليلة فأظهر كل منهم ما يقوم به من عمل متواصل فعلم النبي ﷺ بكلامهم فأنكر فعلهم مبينا أنه أتقاهم وأخشاهم لله ومع ذلك يقتصد ويتوسط في الطاعات.

التحليل البلاغي:

لقد بدأ الحديث الشريف بسؤال الصحابة الكرام عن عبادة النبي ﷺ(فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا): أي عدُّوها قليلة، شبه حالهم حين أُخبروا بعمله ﷺ وكان من البساطة واليسر والبعد عن الغلو والتشدد وتحميل النفس ما لا تطيق، على غير ما كانوا يتوقعون، بحال من استقلّ عبادته ﷺ أي عدّها قليلة معللين ذلك باستغنائه ﷺ عن العبادة أو عدم حاجته إليها، حيث غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

والاستفهام في قولهم: (وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟) يفيد الاستبعاد؛ أي عد المسافة بعيدة بينهم وبين رسول الله ﷺ، كما نلمح فيه معنى النفي؛ أي ما نحن مشابهين لرسول الله ﷺ، وأنّى لنا أن نقترب منه في المكانة والمنزلة، فقليل عمله يكفيه، لكننا نحتاج إلى العمل والمبالغة في الطاعات حتى نصل إلى بر النجاة.

وقد دللوا على واقعية الاستفهام المفيد لبعد المسافة بينهم وبين رسول الله بقولهم: (قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ) وهي جملة تقريرية تعليلية الغرض منها بيان وجه الاستبعاد في الاستفهام، أو بيان وجه استقلالهم عبادة

رسول الله ﷺ، فهو ليس كسائر البشر، إنه ممنوح من الله مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقد استفادوا ذلك واقتبسوه من القرآن الكريم: قال تعالي:﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ ﴾ [الفتح: ٢]، فليس حاله في حاجته إلى كثير من الطاعات كحاجتنا، وهو وجه مستقيم يخرجهم من دائرة الغلو والمخالفة بحسن نيتهم ورغبتهم في الوصول لمدارج الكمال البشري في الطاعات باجتهادهم الشخصي.

وقد شفعوا كلامهم ببيان عملي: (قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا) والأبديّة قيد للّيل لا للصلاة [1]، وفي ذلك إشارة إلى أنه يداوم على قيام الليل أبد الدهر، وقد لا تكون صلاته أبدية أي مستمرة طوال الليل، إذ ليس هذا مما يتخيله عقل.

وقد بدأ القائل الأول بـ (أما) التفصيلية التي تشرع في تفصيل أحوالهم في طاعة الله، وهم لا يبتغون بذلك رياء ولا سمعة؛ وإنما أرادوا أن يظهروا أحوالهم للأمة ظنا منهم أن المسلم ينبغي له أن يكون كذلك، وليقتدي بهم غيرهم.

(وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ) ولم يقيده بالتأبيد؛ لأنه يفطر العيدين وأيام التشريق(٢)

ومعنى ذلك أن هذا الصحابي الكريم كان يصوم الدهر كله إلا الأيام التي نهى الشارع عن صيامها، وقد جاءت جملة "ولا أفطر" بمثابة التأكيد للجملة السابقة عليها "أصوم الدهر"؛ حتى لا يظن ظان أنه يصوم يوما ويفطر يوما، وأنه يقول ذلك على سبيل المبالغة، فبين بها أنه ساق كلامه على سبيل الحقيقة.

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : ٨ / ٣ المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصرالطبعة: السابعة،

(٢) السابق والصفحة

(وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا) وقد أفاد هذا الصحابي أنه يترهبن ويعيش عزبا؛ ظنا منه أن الانشغال بالزواج يعد مضيعة للوقت، وقضاء لشهوة فانية ولهو بالمباح الذي قد يُستغنى عنه، ونسي أن في ذلك عفة لفرجه وتحصينا لنفسه وتكثيرا لأمة الحبيب ﷺ بطلب الولد، وإعالة للمرأة وغير ذلك من الفوائد، لكنه عاهد نفسه على عدم الزواج أبدا وهو قادر على الوفاء بعهده؛ رياضة للنفس وحرصا على الانشغال بما يرضي الله، وظنا منه أن ذلك يحقق رضا رب العالمين.

إن هؤلاء النفر من الصحابة الكرام . رضي الله عنهم أجمعين . فصّل كل واحد منهم ما يبرع فيه من العبادات . كما يعتقدون . وقد ركّز كل واحد منهم على جانب معين ، صلاة أو صياما أو انقطاعا عن الزواج، ولا شك أن تركيز أحدهم على جانب واحد لا يمنع من وجود سائر العبادات، لكنه برع في هذا المجال من رياضة النفس وإلزامها قسرا على القرب من رب العباد.

وهو ظن ينطلق من نية حسنة من الصحابة الكرام . رضي الله عنهم أجمعين . إذ لم يفعلوا ذلك معتقدين أنه تشدُّد في الدين أو غلوّ مرفوض؛ بل فعلوه اعتقادا منهم أنهم أحوج من رسول الله إلى ذلك، أما هو ﷺ فقد نال المنزلة العليا والمكانة السامية بمغفرة الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا.."

وهنا يبدأ الكلام النبوي المبارك، وقد جاء أولا بصورة الاستفهام، وهو استفهام محذوف الهمزة، إذ الأصل: أأنتم ، وحذف الهمزة فيه نوع من الإيجاز لضيق المقام، ومسارعة بعذلهم على ما قالوا، والغرض من الاستفهام الإنكار وهو إنكار يراد منه اللوم والتعنيف على ما اعتقدوه وما قالوه.

وفي تعريف المسند إليه بضمير المخاطب "أنتم" مواجهة حاسمة لأشخاصهم الثلاثة، وإيعاز بعدم الرضا والقبول، وجمعهم في ضمير واحد؛ إشارة إلى توافقهم على الخطأ واجتماعهم على الغلو، وعرف المسند بالاسم الموصول في قوله: "أنتم الذين"؛ لإحضار صورتهم في الذهن والتمكن من

أوصافهم بما يأتي بعد، وتعريفهم بما اجتمعوا عليه من الخطأ والبعد عن المنهج القويم.

وقد جاءت صلة الموصول: "قلتم كذا وكذا"، لتبين حقيقة ما قالوه، ويؤكد سماعه ﷺ لقولهم، وقد كني عن القول السابق للصحابة بقوله: كذا وكذا، وهي كناية عن صفة إذ الكلام السابق في حكم الصفة ووراء الكناية إشارة إلي رغبته ﷺ عن تكرار ما قالوه إيجازا في اللفظ وتركيزا للعبارة، وعزوفا عما قالوا، وكأنه ﷺ كره ما فعلوه وما قالوه، فعزف عن تكراره بلفظه إهمالا له .

ثم شرع ﷺ بعد ان عذلهم علي ما قالوا منكرا عليهم اعتقادهم وعملهم، شرع في بيان المنهج القويم للإسلام والذي يتوافق مع فطرة البشر ويتواءم مع قدراتهم، مبينا أنه أكثر الناس خشية لله وتقوي فقال: "أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ" وهذه جملة خبرية "إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ" صُدِّرت بإنشاءٍ غير طلبي وهو القسم، والغرض من الخبر لازم فائدة الخبر، إذ إنَّ الصحابة الكرام . رضي الله تعالي عنهم . يعلمون ذلك جيداً، لكنه ﷺ أراد أن يذكرهم به تهيئة لما يذكره بعد، أي إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ومع ذلك لا أتشدد في الدين كما تفعلون بل أتوسط في العبادة، دون إفراط أو تفريط .

والخبر هنا ابتدائي وإن ترافدت فيه أساليب التأكيد، وهو الأليق بمقام الصحابة . رضوان الله عليهم أجمعين . إذ ليسوا مترددين في اعتقاد خشيته ﷺ وتقواه لله أكثر منهم، وليسوا منكرين لذلك، وليس التأكيد راجعاً إلي تنزيل خالي الذهن منزلة المنكر أو المتردد، وإنما التأكيد راجع إلي أهمية هذا الخبر في نفسه وثقله وخطورته إذ يتعلق بمقام خشية رسول الله ﷺ وتقواه لربه، ولذلك ترافدت فيه المؤكدات:

. وأولها: التنبيه بحرف الاستفتاح والتنبيه: (أما) بتخفيف الميم؛ إذ تشير إلي حرصه ﷺ علي تنبيههم إلي خطأ مسلكهم، وأنه لو كان صحيحا أو صوابا لما تركه ولكان أحق الناس به فهو أخشي الخلق لله وأتقاهم.

ـ **والمؤكد الثاني: هو القسم** "والله" وهو ﷺ لم يقسم تبرئة لنفسه من نقصان الخشية والتقوي، ولم يقسم كذلك رداً لاعتقاد الصحابة ذلك؛ وإنما أقسم هكذا بهذا القسم الصريح "والله"؛ لأنَّ القضية تتعلق بأمرٍ خطير قد يؤدي إلي ضياع الدين والدنيا وهو الغلو في الدين والتشدد فيه وتحميل النفس ما لا تطيق، إذ إنه ﷺ يخاطب الصحابة الكرام وهم القدوة والأسوة للأمة بعد رسول الله ﷺ فخشي ﷺ أن يُفهم تهاونه بعدم القسم أو سوق المؤكدات أنه إقرار لصنيعهم أو علي الأقل عدم لوم أو تأنيب أو عذل أو تعنيف، وأنه لم يقر ولم ينكر فيصير ذلك من المباحات والحقيقة أنه مخالف للإسلام وينكره النبي ﷺ .

ـ **ثم يأتي المؤكد الثالث (إنَّ)** وهي تحمل معاني الإنكار الشديد من رسول الله ﷺ لصنيعهم ورفضه رفضاً تاماً لما قالوه إذ لو كان صواباً لكان هو ﷺ أولي الناس به وهو أكثرهم خشية لله وتقوي له سبحانه .

ـ **ثم يأتي المؤكد الرابع وهو: (اللام)**، وفيه تصعيد لحدة الإنكار ومواجهة صريحة لخطأ المسلك وتعنيف مباشر لهم باستنكار ما فعلوه .

ـ **وأخيراً تأتي اسمية الجملة**؛ إذ تفيد الدوام والثبوت، فخشيته ﷺ وتقواه لله أكثر من سائر الناس أمرٌ ثابت لا يتغير، دائم لا ينقطع، وقد أفاد اسم التفضيل: " أخشاكم، أتقاكم" اشتراك الصحابة . رضوان الله تعالي عليهم . في الخشية والتقوي مع رسول الله ﷺ لكنه فاقهم وزاد عنهم، ففيه إشارة إلي الشهادة لهم بالتقوي والخشية، ولكنَّ عمود التفضيل هنا هو إثبات أنه ﷺ أكثرهم خشية وأشدهم وأكثرهم تقوي، ومع ذلك يصوم ويفطر ويصلي ويقعد ويتزوج النساء، فلا يسلك مسلكهم القائم علي الغلو والتشدد والمغالاة التي لا يقبلها الإسلام .

وقدم الخشية على التقوى؛ لأن الخشية سبب التقوى، فمن عرف الله حق المعرفة لم يعصه أبدا، ومن عرف الله تحققت فيه التقوى، وأظهر متعلق الخشية: "لأخشاكم لله" وهو اسم الجلالة وحرف الجر؛ ليبين اتصاله بربه

ومعرفته له سبحانه وخشيته له، ومع ذلك يتوسط في عبادته، وأعاد ضميره سبحانه مع التقوى "وأتقاكم له"؛ حيث سبق ذكره ظاهرا؛ فأغنى عن إعادته.

إن ترافد المؤكدات في هذه الجملة وتصعيد المعنى بهذه النغمة الحادة راجع لقيمة الخبر وأهميته، وأنه يتعلق بأمر جلل، إذ يمثل عدولا عن المنهج، لكنه صدر بحسن نية أولا، وبتعليل فعلهم بأن رسول الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلا يحتاج إلى المشقة في الطاعة ثانيا، وليس عدولا أو انحرافا عقديا أو حتى عمليا معتقدين أنهم يشرّعون ما لم يشرّعه لهم رسول الله، كلا وألف كلا أن يعتقد معتقد ذلك، وحاشا للصحابة الكرام . رضوان الله عليهم . أن يعتقدوا ذلك، لكنهم فعلوا ذلك وقالوا ما قالوا معتمدين على تفسيرهم السابق، وأنهم أحوج للطاعة من رسول الله، واستبعدوا منزلتهم من مكانته ﷺ "وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ "ولذلك تآزرت تلك المؤكدات في كلامه ﷺ واحتشدت؛ لأهمية الأمر فهو أمر جلل وقضية خطيرة، علم النبي ﷺ مغبة السكوت عنها أو حتى التهاون في شأنها، أو التساهل في التأكيد على خطورتها، وأنها تفتح بابا من أبواب الشر على الأمة كلها، ولا يقاوم ذلك ولا يدفعه ولا يرده أمام جموع الأمة إلا حدة الأسلوب وبلوغه الذروة في التأكيد والتوثيق، فلو كان مسلكهم صوابا لكان أولى الناس به المشرع عن الله، وهو أشد الناس له خشية وأكثرهم له تقوى، فأبعد بذلك ﷺ الشبهة عن الإسلام، وكأنه ﷺ وهو المتصل بوحي السماء علم أنه سيكون في الأمة غلاة متشددون، يسيئون للإسلام ويكونون ثغرة يدخل منها أعداء الدين وكارهو الإسلام، فاشتد في حديثه وعلت نبرة التأكيد، وتآزرت المؤكدات لسد تلك الثغرة، ولمواجهة الغلاة المتشددين في الأمة في كل زمان ومكان.

ثم استدرك ﷺ من محذوف في قوله: "لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ" أي أنا وأنتم بالنسبة إلى العبودية سواء، لكن أنا أصوم ...الخ[1]، فأقرهم ﷺ على التساوي في العبودية فالكل عباد لله، لكنه بين لهم أنه أشدهم خشية وأكثرهم تقوى، ومع ذلك لا يفعل فعلهم، ولا يتشدد تشددهم، فهو يصوم ويفطر، أي يصوم أياما كالبيض من كل شهر، وكالاثنين والخميس، وكالأيام التي حث على صيامها كيوم عرفة وعاشوراء وغيرهما، ويفطر سائر الأيام، وذلك في النوافل ولا يشق على نفسه حتى يستطيع التقوي على طاعة الله والدوام على عبادته.

"وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ" أي وأصلي من الليل وأرقد منه ما يجعلني أتقوى على الطاعة والصلاة والقيام، وما أجمل النسق التعبيري في تلك الجمل المتتابعة: "أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ"؛ حيث بنيت على سابقتها، فرد بقوله: "أَصُومُ وَأُفْطِر" على من قال: "أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ"، ورد بقوله: "وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ" على من قال: "أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا"، ورد بقوله: "وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ" على من قال: "أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدً"

فجعل الجمل الثلاث في مقابلة قولهم؛ ليبرز سماحة الإسلام وبعده عن المغالاة وتحميل النفس ما لا تطيق.

وقد جاء الطباق بين المفردات: أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وهو طباق يبرز وسطية الإسلام، وأنه لا يكلف العباد عملا متواصلا لا ينقطع؛ لأن من ألزم نفسه بشيء من ذلك كلّت وملّت، وكره العبادة ومن ثم انقطع عنها فيقع في التقصير، ومنشؤه الأول هو التشدد والغلو في الدين بإلزام النفس بما لم يلزمها به رب العالمين.

(١) عمدة القاري : ٢٠ / ٦٥

ومضارعيّة الأفعال تدل على التجدد والحدوث، فليس مداوما على واحدة منها مداومة تؤدي إلى الانقطاع والملل "أصوم وأصلي" أو يؤدي إلى التفريط في طاعة الله "أفطر وأرقد"، بل هو وسط بين هذا وذلك دون إفراط أو تفريط.

وحذف المفعول من الأفعال "أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ" يوحي بفتح الباب حسب مقدرة كل عبد من عباد الله دون إلزام، فالتحديد والإلزام يكون في الفرائض، أما النوافل فلا حد لها قلة وكثرة، وذلك يختلف من شخص لآخر، بل ويتفاوت لدى الشخص الواحد بتفاوت درجات نشاطه للعبادة، أو خموله وأحواله الصحية والنفسية وغيرها، كل ذلك أفاض به حذف المفعول لتلك الأفعال، وكأن الشارع في باب النوافل يعطيك المفتاح وأنت تفتح الباب لتختار من الدرر ما تشاء دون إلزام أو تقييد.

وفي نصه ﷺ على أنه يتزوج النساء "وأتزوج النساء" إشارة إلى مشروعية النكاح، حيث تعتريه الأحكام التكليفية الخمسة، فقد يكون واجبا أو جائزا أو مكروها أو مستحبا أو حراما، حسب حالة كل إنسان ـ كما وضح الفقهاء ـ وهو سنة الحبيب ﷺ وفيه من المنافع ما لا يحصى من عفة النفس والفرج للرجل والمرأة، وابتغاء النسل والذرية وطاعة الله وإعالة المرأة، وقضاء الوطر والاستقرار...الخ.

وهذه الجملة راجعة لقول الصحابي: "أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا" وهي تقطع التبتل في الإسلام وتنفي الرهبانية، ووراءها إشعار بأن الإسلام لا يتعارض أبدا مع حاجات المرء الأصلية ورغباته وشهواته، لكنه يضع لها قالبا حلالا بما يتوافق مع الحفاظ على الأعراض والأنساب والبعد عن الفسق والفجور والإغراق في مفسدات الدين، والتعرض للأمراض والأوبئة الفتاكة.

وقد ذكر المفعول به في الجملتين في كلام الصحابي وكلام الرسول الكريم وهو "النساء" مع أن الزواج لا يكون إلا للنساء؛ والعلة في المقامين مختلفة:

ـ ففي كلام الصحابي "أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا" كان لابد من ذكر المفعول به وهو النساء حتى يحدد من يعتزله، والتعبير بالاعتزال فيه إشارة

إلى تجنب النساء تماما، سواء في المخالطة الواقعية أو التعلق القلبي؛ ليحقق بذلك الانقطاع التام لطاعة الله . كما يعتقد . وقد حذف المفعول مع الفعل "أتزوج"؛ حيث قال: "أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدً"؛ فالذكر مع الاعتزال للتنفير من الزواج، وكأن النساء هن من مفسدات الوقت ومضيعات العمر، وحذفها مع الزواج "فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا"؛ للإشارة إلى الإعراض عنهن وعزوف النفس عن ذكرهن.

. **أما في كلام النبي** ﷺ "وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ" فذكر المفعول هنا له دلالة مخالفة لدلالته هناك، فإذا كان الذكر هناك للتنفير، فإن الذكر هنا للترغيب والإبانة عن الحل ورفع الحرج والإفصاح عن الجواز والإباحة، ووراءه إيحاء بأن النساء ليسوا شياطين، بل هم من نعم الله على العبد.

وقد عقب ﷺ على ذلك كله بقوله "فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" وفاء التعقيب تشير إلى ضرورة سرعة الالتزام بهدي الحبيب وسنته فإن فيها النجاة والفلاح.

وتعدي الفعل "رغب" بـ "عن" يفيد الإعراض والترك والإهمال وهو ما يؤذن بالهلاك، وإضافة السنة إلى ضميره ﷺ "سنتي" إضافة تكريم وتشريف، فهي سنة أفضل الخلق وخير البشر ﷺ.

والسنة هنا هي الطريقة فتعم الفرائض والنوافل وهي تشمل "الشهادتين وسائر أركان الإسلام فيكون المعرض عن ذلك مرتدًّا وكذا إن كان الإعراض تنطعًا يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله، وأما إن كان ذلك بضرب من التأويل كالورع لقيام شبهة في ذلك الوقت أو عجزًا عن القيام بذلك أو لمقصود صحيح فيعذر صاحبه"[1]

(١) إرشاد الساري : ٨ / ٤

وقد بنيت الجملة التعليلية على الشرط والجزاء، "فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"، وجواب الشرط يقطع قطعا جازما بالخروج من الملة، والانقطاع عن رسول الله ﷺ بما يفيد منطوق من الاتصالية في قوله "فليس مني" هذا إذا كان راغبا عنها تنطعا وإعراضا أو غير مؤمن بها.

والحديث كناية عن سماحة الإسلام وبعده عن الغلو والمغالاة وأنه دين وسط قائم على الاعتدال ولا مجال فيه للتشدد أو التنطع، بتحميل النفس ما لا تطيق، فالدين يسر ولا عنف فيه ولا مغالاة، والمسلم يصلي ويرقد ويصوم ويفطر ويتزوج النساء، ويؤدي حق الله وحق النفس وحق الزوج وحق الولد وحق الناس، تلك هي سنة الحبيب ﷺ، والدين لا يُؤخذ بالهوى ولا بالابتداع ولا بالعقل، وإنما يُؤخذ بالنقل والاتباع، فنحن صنعة الله وهو أعلم بصنعته، فلا تتطوع لتنشئ شرعا جديدا يتوافق مع هواك مهما وجدت من نفسك طاقة وقدرة، فإنك ستنقطع يوما ما؛ فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.

الحديث الرابع

(يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله)

٥٩٩ – عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال :" يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين "[١]

المعنى العام وسبب ورود الحديث:

بين النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف أن هذا العلم وهو علم الدين والدنيا أمانة يحملها العلماء العدول في كل زمان ومكان يرثه الخلف عن السلف، ويبرزون من خلاله وسطية الإسلام وينفون عنه الغلو والتشدد والتحريف والكذب والتأويل الباطل المبني على جهل وانحراف.

والمعنى الأم في الحديث هو مدح العلماء العدول وتحميلهم أمانة العلم والتنفير من التشدد والمغالاة والانسياق وراء جهل الجاهلين ومغالاة المبطلين.

التحليل البلاغي:

يبدأ هذا الحديث الشريف بتلك الجملة الخبرية: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله"، وهي جملة خبرية الغرض منها فائدة الخبر، وهي إخبارنا بأمانة العلماء وأنهم يحملون أمانة العلم وأنهم موجودون في كل عصر، فكل خلف منهم يرث العلم عن سلفه ويحمل أمانته، وهي بداية موحية ببراعة الاستهلال؛ حيث أومأت إلى أن الغرض المسوق من أجله الحديث وهو ذم الغلو في الدين والتنفير منه وتنقية الدين من شوائبه، إنما هي مهمة العلماء العدول المخلصين العاملين.

---

(١) مسند الشاميين: ١ /٣٤٤ حديث رقم: ٥٩٩ المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني . الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت . الطبعة الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٤. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي

ووراءها إشارة إلى أن الغلو في الدين لا يصدر إلا من الجهلاء أو أقزام العلم من المتعالمين وأدعياء العلم، وهو ما يستفاد من تعريف المسند إليه (الفاعل): "عدوله" بالإضافة إلى ضمير الخلف .

وقد بدأ الحديث الشريف بالمسند الفعلي "يحمل" والحمل يكون للأشياء المحسوسة، وقد يكون للمعنويات كالهم والعلم والحب والبغض؛ لكن الأصل فيه أن يكون مع المحسوسات، فقد ذكر الإمام الزمخشري في أساس البلاغة في مادة "حمل" المعاني الحسية أولا، كحمل المرأة وهذه جمال محملة، وحمالة السيف ..الخ، ثم قال: " ومن المجاز: حملت إدلاله عليّ واحتملته، واحتمل ما كان منه ولا تعاتبه، والقرآن حمّال ذو وجوه، وحملت الحقد عليه إذا أضمرته"(١)

ومن خلال ما سبق يظهر أن أصل استعمال الحمل في المحسوسات، واستعماله في المعنويات كالعلم والحقد مجاز . كما ذكر الإمام الزمخشري . والمجاز هنا قائم على تشبيه العلم بالشيء الثقيل ذي الجوهر والمحمل المحسوس؛ ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الحمل على سبيل الاستعارة المكنية، ووراءها تجسيد للعلم بصورة حسية، وبيان لثقل أمانته ورجحان كفته، فإذا كان الشيء الثقيل المحمل يحتاج إلى سواعد الأشداء؛ فإن العلم يحتاج إلى عقول العلماء وقلوب الأتقياء الأنقياء، وقد قال ربنا لرسوله ﷺ في القرآن الكريم ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل: ٥]، وهو القرآن الكريم.

والعلم المراد في الحديث هو العلم الشرعي المتعلق بعلوم القرآن الكريم، من فقه ولغة وغيرها، وقد عرّفه باسم الإشارة "هذا العلم" وأبدل منه العلم، فالعلم عطف بيان أو بدل من اسم الإشارة الغرض منه التوضيح وبيان المراد من

(١) أساس البلاغة : ح م ل

اسم الإشارة، والغرض من تعريف المفعول به باسم الإشارة "يحمل هذا العلم" هو تعظيمه والإشارة إلى تفخيمه وعلو قدره، ووراءها إيحاء بالتناسب مع لفظ الحمل القائم على المجاز بالاستعارة المكنية؛ فالمشار إليه كأنه محسوس حاضر أمام عينيك، وأل في العلم للعهد الذهني؛ إذ المراد به العلم الشرعي المعهود في الأذهان، وقد أجمع شراح الحديث على أن المقصود بالعلم هنا هو علم الكتاب والحكمة، أي القرآن والسنة، وشددوا على أن المراد حراسة السنة بالرواية، ولهذا رأى المحققون سد باب نقل الحديث على المعنى وشددوا فيه(١)؛ وذلك لتفاوت العقول والأفهام، واختيار لفظ الحمل يشعر بثقل أمانة العلم، وأنه حمل ثقيل يحتاج الأشداء من الرجال.

و "من" يحتمل أن تكون تبعيضية، وهي ومجرورها متعلقان بمحذوف فاعل "يحمل"؛ أي يحمل هذا العلم أشخاص من كل خلف هم عدوله؛ ولذلك تعرب "عدوله" على أنها بدل منه؛ ويحتمل أن تكون بيانية على طريقة: لقيني منك الأسد؛ حيث جرد من الخلف الصالح العدول الثقات، وهم هم(٢)، وعلى كل فقد دل الجار والمجرور على تعهد الله . عز وجل . لهذه الأمة بوجود العدول من العلماء في كل خلف وفي كل زمان ومكان.

---

(١) مطالع الأنوار على صحاح الآثار : ١/ ١٥٢ . المؤلف: إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (المتوفى: ٥٦٩هـ) . تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث . الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر . الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) : ٢/ ٧٠٠ . المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) . المحقق: د. عبد الحميد هنداوي . الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) . الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

ووراء ذلك تعريض باليهود وتحريفهم وتبديلهم التوراة وتأويلها بالباطل، وإحماد عظيم لهذه الأمة المرحومة وبيان لجلالة قدر المحدثين.(١)

والخلف بالتحريك: الولد الصالح، فإذا كان فاسدا أسكنت اللام(٢)، قال تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ۝٥٩ ﴾ [مريم: ٥٩]، فالخلف هم الصالحون الذين يخلفون السلف الصالح، ودخول لفظ العموم عليه مع تنكيره "من كل خلف" يشير إلي أنَّ ذلك سنة الله في هذه الأمه في كل عصر وجيل.

ثم خص من ذلك أو من الخلف العدول منه فقال: "عدوله" وهم العلماء العاملون المخلصون الذين لا تدليس عندهم .

قال في التمهيد "وكل حامل علم معروف العناية به فهو عدل محمول في أمره أبدا على العدالة حتى تتبين جرحته في حاله أو في كثرة غلطه لقوله ﷺ "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله"(٣).

فلا يؤخذ العلم من سفيه أو مجروح في شهادته أو صاحب هون أو كذّاب، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعباده إذا كان لا يعرف ما يُحَدِّث.(٤)

والمراد بحمل العلم هنا هو أخذه وتعلمه وتعليمه والقيام بإحيائه والعمل بموجبه ونشره ونفع الناس به والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وبيان منزلة هذا الدين ولا يقوم بهذا إلا العدول من العلماء.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح : ٢/ ٧٠٠ .

(٢) مختار القاموس : خ ل ف

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : ١ / ٢٨ . المؤلف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ) . المحقق : مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى . الناشر : مؤسسة القرطبه

(٤) إرشاد الساري: ٦٦/١

وقد أثارت هذه الجملة الخبرية سؤالاً في نفس السامع فحواه: فماذا يفعلون ليكونوا كذلك فجاء قوله: "ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين" بمثابة الجواب عن السؤال المقدر في النفس، ففصلت الجملة عن سابقتها لشبه كمال الاتصال كما يفصل السؤال عن الجواب .

قال الإمام الطيبي: "وقوله: "ينفون" إما حال من الفاعل، أو استئناف، وهو الأوجه، كأنه قيل: لم خص هؤلاء بهذه المنقبة العلية؟ فأجيب لأنهم يحمون مشارع الشريعة، ومتون الرواية من تحريف الذين يغلون في الدين؛ والأسانيد من القلب والانتحال، وتولى الكاذبين؛ والمتشابه من تأويل الزائغين المبتدعين بنقل النصوص المحكمة لرد المتشابه إليها."(١)

فعلي اعتبار أنَّ جملة: "ينفون عنه تحريف الغالين" حال من الفاعل "عدوله"؛ فالمعني أنهم يحملون هذا العلم متلبسين بتلك الحال وهي نفيهم عنه كذا وكذا ..... أي أن الحمل مشفوع بتلك الصفة، ومقترن بها لا ينفك عنها؛ وكأنَّ من مقتضيات أمانة العلم أن يدافع العالم عن حمي الدين من شبهات المغالاة والزيغ واتباع الهوي.

وعلي اعتبار الاستئناف والفصل لشبه كمال الاتصال؛ فقد جاءت جملة "ينفون عنه" وما بعدها لتزيل التساؤلات التي تدور بخلد السامع وتشفي غُلَّته وتروي ظمأه المتطلع لمعرفة صفاتهم وأفعالهم التي جعلتهم أهلاً لشهادة رسول الله ﷺ لهم بالعدالة أو بأنهم عدول كل خلف، وأهلتهم لحمل أمانة العلم في كل زمان ومكان.

وقوله: "ينفون عنه تحريف الغالين" أي المتجاوزين في الدين من الغلو وهو مجاوزة الحد والإفراط فيه، والضمير راجع للعلم في حرف الجر "عنه" والفاعل هم العلماء العدول من كل خلف، يقال: نفاه ينفيه وينفوه: نحَّاه، وانتفي:

(١) شرح الطيبي علي مشكاة المصابيح : ٢/٧٠٠

انتحي[١]، فالنفي هنا تنحية هذه المفاسد والانحرافات عن الدين؛ لأنها ليست منه ولا صلة له بها، وإنما هي من فعل هؤلاء الضالين، وهم فئات كما بينها التقسيم في الحديث الشريف: "تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين" .

فتحريف الغالين: هم المتجاوزون في الدين المتشددون فيه، الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، وتلك صفة من صفات اليهود ومن والاهم من الفرق الضالة التي لا يصح أن تنتسب إلي هذا الدين، فهي إشارة إلي التشدد والتعمق في الدين المبني علي جهلٍ وعدم فهمٍ صحيح للقرآن والسنة، لذلك كان المتصدين لهم جيش عظيم من العلماء العدول الذين يُنحُّون عن الدين أباطيلهم وتنطعهم حتي لا يضل بكلام الغالين من سواهم من عوام الناس.

فالعلماء العدول هم حماة الدين، وهم صمام الأمان لهذه الأمة، وهم كفة الميزان التي يرجع إليها عند اختلاف الناس، وهم الحجة الواضحة، وهم من ينشرون وسطية الإسلام دون إفراط أو تفريط، وهم من يحاربون التشدد والغلو والتنطع في الدين.

وإذا كانوا ينفون عن الدين تحريف الغالين؛ فإنهم ينفون عنه كذلك "انتحال المبطلين" والانتحال هو ادّعاء الشيء لنفسه، كادعاء شعر غيره أو قوله: لنفسه[٢].

فالمبطلون هم الكاذبون الذين ينتحلون أو ينحلون لأنفسهم ما ليس لهم من أقاويل العلماء، ويعزونها إلي أنفسهم وليست لهم ليستدلوا به علي باطلهم، فهو كناية عن الكذب، فمهمة العلماء العدول نفي ما انتحله المبطلون وتنزيه العلم عنه.

---

(١) مختر القاموس: ن ف ي

(٢) لسان العرب: نحل

"وتأويل الجاهلين": وهي المهمة الثالثة للعلماء العدول من كل خلف، أي المؤولون للقرآن والسنة علي وجه ليس صواباً، فالعلماء العدول ينفون عن العلم تأويلهم الكاذب المبني علي جهل وضلال .

وقد اشترك الأصناف الثلاثة في الباطل والكذب والجهل والضلال، فالغالي في الدين مجاوز لحده مفرّط فيه، والمبطل كذاب أفاك، والجاهل ضالّ عديم النفع كثير الضرر والفساد وثلاثتهم يجمعهم الجهل وعدم الفهم وانحراف المنهج؛ لذلك وقعوا في شباك الغلو والانحراف والتشدد المرفوض في ديننا، ومهمة العلماء العدول هي رد الشبهات التي يثيرها هؤلاء المنحرفون الضالون، ونفيها عن الإسلام والتصدي للرد علي تأويلاتهم وشبهاتهم التي يستدرجون بها العامة، ويشوهون بها صورة الإسلام، يتصدون لذلك بعلمهم المبني علي الدقة والحكمة والاستنباط والفهم الوسطي الصحيح لتعاليم الإسلام بعيداً عن العنف والتشدد والإرهاب الذي لا صلة له لا بالعلم ولا بالدين.

والحديث مفعم بالسمات البلاغية الراقية: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين" وفيه كثير من الدقائق البلاغية.

ومنها التناسب التام الذي بنيت عليه أركان الحديث؛ حيث عبر عن أمانة العلم بالحمل، والحمل يشعر بالثقل وتحمل المسؤولية، فمن يتعرض للعلم يتعرض لحمل المسؤولية ولأمانة الكلمة، ويناط به تصحيح العقول والأفهام، وتصحيح المسارات الشاذة المنحرفة، وإلا فإنه ليس أهلاً لهذا الحمل وتلك الأمانة، والتعبير بالمضارع يدل علي التجدد والاستمرار فهو حمل لا ينتهي ولا يتوقف، وعطاء العلماء باقٍ أبد الدهر، ورسالتهم مستمرة لا تنقطع ومدادهم يظل متدفقاً ما بقيت الأمة وما بقيت الحياة، وتجديد الفكر هو مهمتهم وجزء من رسالتهم.

والأمر الثاني هو اختيار الفعل أو المعني والمصدر المناسب مع فاعله المناسب؛ فمع الغالين يأتي التحريف؛ والغالي بطبيعته متجاوز لحدوده مفرّط

محرّف، فباب التحريف أمامه مفتوح علي مصراعيه لا يمنعه ضمير ولا علم ولا يرده وازع، ومع المبطلين وهم الكذابون تجد لفظ الانتحال وهو الأنسب لهم والأليق بهم، فكلاهما من وادي الكذب والادعاء، ومع الجاهلين تجد لفظ التأويل، وهو أليق الألفاظ بهم وأنسب لحالهم؛ فالجاهل يتأوّل ما يريد بجهله ويسوّغ لنفسه ما لا يسُوغ، ويبيح لنفسه ما لا يُباح بضرب من التأويل علي غير بينة أو دليل.

وقد اشترك الثلاثة جميعهم "الغالون، المبطلون، الجاهلون" في الاثم والغلو الفاحش والافتراء والكذب والتدليس وتشويه صورة الإسلام مما جعل نبي الرحمة ﷺ يُحمّل العلماء العدول مسئولية الرد علي أمثال هؤلاء وإزالة شبهاتهم، ودفع أقاويلهم الباطلة، ونفي التشدد والتنطع عن الدين، وإظهار الدين بثوبه الوسطي القشيب.

وأمر ثالث وهو أنَّ النص علي العلماء العدول يوحي بأن من العلماء من ليسوا عدولاً؛ فهناك علماء لكنهم فُسَّاق أو مجروحون في شهادتهم، ومن ثم لا ينطبق عليهم الحديث ولا يدخلون تحت مظلته.

ولم يقل النبي ﷺ: يحمل هذا العلم من كل خلف أتقياؤه، أو مخلصوه، أو العاملون من العلماء أو أو ..... إلخ؛ وإنما خصَّ العدول؛ لأن العدل يغني عما سواه، فإذا توفر العدل في العالم كان تقياً نقياً مخلصاً عاملاً غير مشتطٍ في حكمه واعتقاده، يحمل فكراً معتدلاً وسطياً لا تشدد فيه ولا انحراف ولا تأويل ولا تحريف.

ومن اللطائف البلاغية في الحديث أنَّ النبي ﷺ جعل نفي هذه الموبقات والمفسدات العقائدية عن العلم ولم يقل عن الدين وذلك في قوله "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه" أي ينفون عن العلم؛ ولم يقل مثلا: ينفون عن الدين؛ لأن نفي تلك المفسدات العقائدية عن العلم يؤدي بالضرورة إلي نفيها عن الدين، وفي هذا إشارة إلي أنَّ العلم النافع الصحيح هو المدخل الحقيقي للدين، وهو البوابة الرئيسة للولوج في فنائه الفسيح، والدين الذي

يُؤسّس علي جهل وجهالة ينتهي إلي غلو ممقوت وتأويل مذموم وتحريف باطل، ولذلك إذا نظرنا إلي الواقع وجدنا أنَّ معظم أسباب التشدد في الدين إنما منشؤها الجهل الشديد وقلة البضاعة الرابحة من العلم النافع، وتجد كثيراً منهم يتزيا بثوب الدين، ويحدثه العامة علي أنه شيخ كبير وتكبر المسألة في رأسه، ويشتري لهو الحديث ليضل الناس بغير علم، ويجترئ علي الفتوي فيَضل ويُضل غيره.

إنَّ الحديث الشريف كلما قرأته وجدت فيه فيضا هائلاً من البلاغة التي لا تتناهي، ثم هو فوق ذلك كله ساق الخبر بأريحية بعيداً عن الانفعال والتأكيد، مؤسساً معناه كله علي فعلين رئيسين هما: "يحمل، ينفون" ليقرر تلك الحقيقة في هدوء، ثم انظر إلي هذا المعني الضخم الفخم الكثير كيف صاغه النبي ﷺ في ثوبٍ عالٍ من الإيجاز الشديد، فهو لا يعدو جملتين كبريين: "يحمل هذا العلم... ينفون عنه" أبرز النبي ﷺ من خلالهما أنَّ الطريق الأوحد للقضاء علي التشدد والتنطع في الدين هو طريق العلم والقضاء علي الجهل ومحاربته والحد منه، حتي لا ينتشر في المجتمع المسلم سرطان التشدد والمغالاة الذي يرفضه الإسلام.

الحديث الخامس

(هلك المتنطعون)

(٢٦٧٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَتِيقٍ، عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا[1]

المعنى العام ومقام الحديث:

هذا حديث نبوي شريف بني على الإيجاز الشديد؛ حيث لم تتجاوز كلماته كلمتين: إحداهما فعل، والأخرى اسم، وهو فاعل هذا الفعل.

وقد ورد الحديث الشريف في مقام الدعاء على المتشددين في الدين بالهلاك والخسران، وفي هذا دليل على بغض الإسلام للتشدد في الدين.

وقبل البدء في تحليل الحديث والوقوف على لطائفه البلاغية يجدر بنا أن نبين معنى "المتنطعين" في اللغة.[2]

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: ٤ / ٢٠٥٥ . المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) . المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٢) قال الإمام الزمخشري: "تطع علي بالسيف والنطع، ثم قال: ومن المجاز: تنطع في كلامه، إذا تفصح فيه وتعمق ورمى لسانه إلى نطع اللحم" أساس البلاغة : ن ط ع، وفي لسان العرب: "النَّطْعُ من الأَدَمِ: معروف... والنِّطْعُ والنِّطَعُ والنَّطَعُ والنَّطَعةُ: ما ظهرَ من غارِ الفَمِ الأَعلى، وهي الجِلْدةُ المُلْتَزِقةُ بعظم الخُلَيْقاءِ فيها آثار كالتَّحْزِيزِ، وهناك مَوقِعُ اللسان في الحَنَكِ، والجمع نُطُوعٌ لا غير... والتَّنَطُّعُ في الكلام: التَّعَمُّقُ فيه مأْخوذ منه. وفي الحديث: هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ؛ هم المُتَعَمِّقُونَ المُغالُونَ في الكلامِ الذين يتكلمون بأَقْصَى حُلُوقِهم تَكَبُّراً كما قال النبي ﷺ "إِنَّ أَبْغَضَكُم إِليّ الثَّرْثارُونَ المُتَفَيْهِقُون"، وكل منها مذكور في موضعه؛ قال ابن الأَثير: هو مأْخوذ من النِّطَعِ وهو الغارُ الأَعْلى في الفَمِ، قال: ثم استعمل في كل تَعَمُّقٍ قوْلاً وفِعْلاً. وفي حديث عمر، ﷺ: لن تَزالوا بخَيْرٍ ما عَجَّلْتُم الفِطْرَ ولم تَتَطَّعُوا تَنَطُّعَ أَهْلِ العِراقِ أَي تتكلفوا القول والعمل، وقيل: أَراد به ههنا الإِكثارَ من الأَكلِ والشرْبِ والتوسُّعَ فيه حتى يَصِلَ إِلى =

فأصل التنطع من النطع، وهو بساط من جلد يفرش تحت المحكوم عليه بالقتل، والنطع كذلك الغار الأعلى من الحنك وهو موضع اللسان من الحنك، ونسبت لهذا المكان الحروف النطعية، وهي (الطاء والدال والتاء).

ولذا كان الأصل في التنطع التعمق في الكلام والمغالاة فيه، حتى إن الإمام النووي . رحمه الله . في كتابه (رياض الصالحين) عنون لهذا الحديث بقوله: (باب كراهة التقعير في الكلام والتشدُّق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللُّغة، ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم)[١]

وهذه فئة من الناس جعلت التشدق والتقعر في الكلام لهم عادة؛ تكبرا على الناس ورغبة في إظهار التفاصح، يدفعهم إلى ذلك الرياء والسمعة وحب الظهور.

التحليل البلاغي:

وإذا كان هذا هو الأصل في المتنطعين، فإن التنطع . كما قال ابن الأثير . استعمل في كل تعمق قولا وفعلا، ولذلك ذكر شراح الحديث أن المراد بالمتنطعين "المتعمقون الخائضون في ما لا يعنيهم، وقيل: المبالغون في عبادتهم بحيث يخرجون عن قوانين الشريعة أقوالًا وأفعالًا أي هلكوا في الدين كما هلك الرهبانية ونحوهم."[٢]

=الغارِ الأَعْلى، ويستحب للصائم أَن يُعَجِّلَ الفِطْرَ بتَناوُلِ القَليلِ من الفَطُورِ، ومنه حديث ابن مسعود: إِيّاكُم والتَّنَطُّعَ والاخْتِلافَ فإِنما هو كقول أَحدكم هَلُمَّ وتعالَ؛ أَراد النهْيَ على المُلاحاةِ في القِراءاتِ المختلفةِ وأَنّ مَرْجِعَها كُلِّها إِلى وجه واحد من الصواب كما أَن هَلُمَّ بمعنى تعالَ. ابن الأَعرابي: النُّطُعُ المُتَشَدِّقُون في كلامهم، وتَنَطَّعَ في الكلام وتَنَطَّسَ إِذا تأَنَّقَ فيه وتَعَمَّقَ، وتَنَطَّعَ في شَهَواتِه: تأَنَّقَ". ينظر: لسان العرب: نطع

(١) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام النووي : ٣٥٠ . تحقيق : أبو عبد الرحمن صلاح عويضه . دار المنار.

(٢) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ : ١١ / ٢٣

وحين نفسر قول ابن الأثير: "ثم استعمل في كل تعمق قولا وفعلا" فإن الحديث الشريف ينطبق على المتشددين في الدين، بل والمتشددين في الحياة عموما، وذلك على تشبيه التعمق أو التقعر في الدين أو الحياة، بالتقعر في النطق، ثم استعير له على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في اسم الفاعل "المتنطعين".

ووراء الاستعارة إبراز لبشاعة المتشددين في الدين الغالين فيه، الذين يسألون عما لا يجب السؤال عنه تنطعا وتقعرا، والذين يتقعرون في الدين بالمبالغة في العبادات مبالغة تخرجهم عن حد الاعتدال، كمن يؤخر الفطر في رمضان بعد المغرب تأخيرا زائدا بلا عذر اعتقادا منه أن ذلك أكمل في الثواب، وكالموسوس في الوضوء المغالي فيه، وغير ذلك كثير.

إن الإسلام دين وسط ودين يسر، وقد قال ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ،...»[1]، وقال ﷺ: "إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" [2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴿٧٨﴾﴾[الحج: ٧٨]، وقال ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾﴾[البقرة: ١٨٥]

والهلاك هو الفناء، وهو ضد الحياة، فهو دعاء عليهم بالقتل والموت والهلاك والفناء، على اعتبار أن الجملة خبرية في اللفظ إنشائية في المعنى، وقد عبر عن الإنشاء "الدعاء" بلفظ الخبر؛ إمعانا في سرعة إجابة الدعاء

---

(١) سبق تخريجه ص: ١١

(٢) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: ١٤ / ١٥٠ حديث رقم :٧٦٧٩ . المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) . المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩) . وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧) . وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨) . الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة . الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

عليهم بالهلاك، على حد قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾[النحل: ١]، ووراء هذا إيذان بأن هؤلاء هالكون لا محالة، فلا يغرّنّهم حلم الله، فنهايتهم قريبة.

وقد ينسحب الهلاك على الهلاك الأخروي وهو أشد وأفظع وأوعر، وقد يُحمل الحديث على أنه خبر في اللفظ والمعنى، والمراد ليس الدعاء عليهم؛ لا سيما أن النبي ﷺ لم يُبعث لعّانا أو طعّانا وما دعا على قومه وهم مشركون، وإنما قال : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، ويكون المراد الإخبار عنهم بأنهم سيهلكون إن في الدنيا، وإن في الآخرة، فإن لم يهلكوا في الدنيا، فإنهم سيهلكون في الآخرة، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ١٢٧﴾[طه: ١٢٧]، وعلى التوجيه الأول بأنه دعاء عليهم، يدرك المتأمل نكارة وفظاعة التشدد والتنطع في الدين، فإنهم أشد خطرا من المشركين والمنافقين.

وبالنظر إلى تكرار الجملة ثلاث مرات، "هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون" وقد وردت في بعض الروايات هكذا بذكر الجملة ثلاث مرات، ووردت في بعضها الآخر بالنص على أنه ﷺ كررها ثلاثا، وهذا النص حكاية حال من الراوي وتأكيد على التكرار، إذ ربما ظن بعض الكتاب أن تكرار الجملة بذاتها سهو أو خطأ، فيكتفي بذكرها مرة واحدة، فتضيع فائدة التكرار؛ لذا نص على أنه قالها ثلاثا.

أما رواية التكرار بالجملة ذاتها ثلاث مرات فالغرض منها التهويل وإظهار بشاعة التنطع في الدين، أو القول أو الحياة قولا وعملا.

قال في شرح المشكاة: "وإنما ردد القول ثلاثا تهويلا وتنبيها على ما فيه من الغائلة، وتحريضا على التيقظ والتبصر دونه، وكم تحت هذه الكلمة من

مصيبة تعود على أهل اللسان، والمتكلفين في القول الذين يرمون بسبك الكلام سبى قلوب الرجال، ونسأل الله العافية".(١)

فالتكرار له مردود نفسي عند رسول الله ﷺ وهو بيان خطورة هؤلاء على الأمة، وإيذان ببغض النبي ﷺ لمنهجهم الآثم وفكرهم المتطرف وسلوكهم المتشدد الذي يرفضه الإسلام.

وفي بعض الروايات: "ألا هلك المتنطعون" وألا تنبيهية الغرض منها الإشارة والتنبيه على خطورة ما يلقى بعدها من كلام، حتى تتهيأ القلوب والأسماع لاستيعاب خطره وضرره على الجميع.

وقد جاء الحديث بصيغة الجملة الفعلية ليدل على أنهم موجودون في كل زمان ومكان، لن يخلو منهم الدهر، وأن وجودهم محقق، وهلاكهم مؤكد لا مراء فيه.

وجمع المسند إليه؛ "المتنطعون"؛ لأنهم متآزرون على الفكر المنحرف، والفهم السقيم، ومتآلبون عليه يقوّي بعضهم بعضا، على سلوك طرق الغي والضلال والتأويل والانحراف.

ومن اللطائف البلاغية الجليلة التي بني عليها الحديث الشريف: الإيجاز؛ حيث بني الحديث على كلمتين اثنتين "هلك المتنطعون" ففيه إيجاز بالقصر؛ حيث عبر عن المعنى الكثير باللفظ القليل مع غزارة المعنى، وتأدية المراد، وإصابة الغرض، وهو التنفير من التشدد والتنطع والتقعر في الدين، لذا يُعدُّ الحديث من جوامع كلمه ﷺ، وفيه كذلك مطابقة للمقام؛ إذ المقام يقتضي أن توجه رسائل قصيرة لأمثال هؤلاء، تحمل زخما هائلا من التهديد والوعيد على ما وقعوا فيه من انحراف فكري وعقائدي، فيكون أوقع تأثيرا وأشد ردعا وأقوى في الزجر والترهيب.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ١٠ / ٣٠٩٨

المبحث الثاني

أحاديث النهي عن الغلو في العقيدة

دراسة بلاغية

الحديث السادس

التنبؤ بظهور الخوارج وذكر أوصافهم

(ذو الخويصرة)

٣٦١٠ – حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، – وَهُوَ قِدْحُهُ –، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ (١)

(١) صحيح البخاري : ٤ / ٢٠٠ حديث رقم : ٣٦١٠

المعنى العام وسبب ورود الحديث:

هذا الحديث يحكي لنا واقعة حدثت من أحد الغالين من الخوارج، بل هو أصل الخوارج وهو ذلك الأعرابي المعروف بذي الخويصرة التميمي، وهو غير ذي الخويصرة اليماني، وهو البائل في مسجد رسول الله ﷺ.

لقد خاطب ذو الخويصرة التميمي رسول الله ﷺ خطابا فيه جفاء وغلظة وسوء أدب، وهو بعلم أنه يخاطب سيد البشر، وقد كان ذلك. كما بيّن الراوي وهو الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري. ﷺ. والنبي ﷺ يقسم قسما؛ أي يوزع غنائم بين أصحابه، وهي غنائم هوازن يوم حنين، واسم الأعرابي: حرقوص بن زهير[1]، وهو رجل من تميم، وقد أفاد هذا الاعتراض من الراوي التنبيه على أنه ليس ذا الخويصرة اليماني الذي بال في مسجد رسول الله ﷺ.

وقد ذكر النبي ﷺ أوصاف الخوارج مبينا الانفصام العقدي عندهم فهم عباد زهاد رهبان، لكنهم يستحلون دماء المسلمين.

التحليل البلاغي :

إن رسول الله ﷺ كان يتألف أقواما حديثي عهد بالإسلام بالعطاء الزائد؛ طمعا في تثبيتهم على الإسلام، فأثار هذا غضب الرجل وقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، وهو قول غريب يدعو إلى التساؤل والتعجب.

فإذا كان ذو الخويصرة يعلم أنه رسول الله ويؤمن به؛ لأنه يبلغ عن الله، فلا شك أن قسمه سيكون مؤسسا على العدالة وعدم الظلم، فكيف يستبيح لنفسه أن يأمر رسول الله ﷺ بالعدل هكذا بالأمر الصريح المسبوق بالنداء: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ ؟

والجواب: أن هذا هو أصل الانهيار العقائدي في عقيدة الخوارج، حيث تلمس عندهم انفصاما بين واقعهم وما يعتقدون؛ فهم يقومون الليل ويصومون

(١) إرشاد الساري : ٦ / ٥٧

النهار لكنهم يستبيحون دماء المسلمين، ويستحلون حرماتهم وأعراضهم، كما استحل كبيرهم هذا قدسية رسول الله، وهو يعلم أنه رسول الله، فخاطبه آمرا إياه بهذا الأمر الجافي الغليظ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ.

والأمر ينضوي على وقاحة وسوء أدب وغلظة وجفاء، ويحمل تحته كثيرا من المعاني البشعة كالبغض والكراهية والحقد والغل وعبوس الوجه وعدم الرضا واحتقار الآخر في قوله وفعله، والإحساس بأنه على صواب وغيره على خطأ، وقناعته التامة بذلك حتى وإن كان من يخاطبه متصلا بوحي السماء، وتلك لعمري معان يفوح بها فعل الأمر "اعدل" وهي المعاني التي تشيع لدى المتطرفين المغالين في هذا الزمان.

وهنا تظهر أمارات الانفصال، وتلوح في الأفق . من خلال منحنى الحوار . علامات الخروج والاعتراض على خير البرية، ويشعر رسول الله ﷺ وهو المتصل بوحي السماء ببداية الخطر الذي يحيط بالأمة، وقد كان ذلك في وقت النهاية أو قبيل النهاية بيسير، إذ كانت تلك الواقعة في غزوة حنين العام الثامن بعد فتح مكة، أي بعد أن مكّن الله لرسوله ﷺ وهو يستشعر أنه على أعتاب وداع الدنيا وتسليم الراية لأصحابه، وهو يخشى انتشار هذا الوباء الخبيث في جسد وفكر وعقل الأمة، لذا رد عليه ﷺ مجيبا قائلا:

«وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ»

إن رسول الله ﷺ ما غضب لنفسه؛ لأنه لم يكن يغضب لنفسه، وما انتقم لنفسه قط إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله، فغضبه ﷺ هنا لأسباب:

. **أولها:** أن نسبة الظلم وعدم العدالة له والجور في القسم بين أصحابه، تشويه لصورة الدين؛ إذ هو ﷺ ممثل الدين ورمز الإسلام.

. ثانيها: أنه غضب لانتهاك حرمة الله فغضبه لله.

. ثالثها: أنه شعر بالخطر الذي بدأ يسري في عقل الأمة أو في فكر بعض أفرادها، فاستشعر خطورته على سائر المجتمع المسلم، وعلم مغبة انتشاره وأنه سيكون كالوباء فأراد أن يجتثه من أصله وينبه عليه.

ومعنى ذلك أن رسول الله لم يغضب انتصارا لشخصه الكريم، وإنما غضب لله وخوفا على دعوته من هذا الوباء الذي بدأ يلوح في الأفق أمام ناظريه والذي يفضي لا محالة إلى المروق من الدين.

ولذلك جاء الرد قاسيا: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ »، فبدأ بالدعاء عليه بالويل والهلاك، والنبي ﷺ بطبيعته لا يحب الدعاء على أحد ولو كان المشركون أنفسهم،

لكنه . كما قلت . استشعر بخطر يُدبّر في ليل مظلم، فأراد أن يكشف ستره ليخرج إلى النور فيعلم الجميع مرارته وخطورته.

والاستفهام في قوله: «وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟» الغرض منه الإنكار؛ وهو إنكار إبطالي بمعنى النفي، أي لا أحد يعدل إذا لم أعدل، وقد يراد منه الاستبعاد؛ أي استبعاد أن يعدل أحد إذا لم يعدل رسول الله، ثم أردف ﷺ الاستفهام بجملة خبرية وهي قوله: «قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ»

وقد ذكر الشراح أن "التاء للمخاطب، وقال بعضهم يجوز أن تكون للمتكلم، لكنهم رجحوا كونها للخطاب؛ فالفتح أشهر وأوجه، وإنما رد الخيبة والخسران إلى المخاطب على تقدير عدم العدل منه؛ لأن الله تعالى بعثه رحمة للعالمين وليقوم بالعدل فيهم، فإذا قدر أنه لم يعدل فقد خاب المعترف بأنه مبعوث إليهم وخسر؛ لأن الله لا يحب الخائنين فضلاً أن يرسلهم إلى عباده، وقال الكرماني: أي خبت وخسرت لكونك تابعًا ومقتديًا بمن لا يعدل".(١)

فالغرض من الخبر هنا هو توبيخ المخاطب والإنكار عليه ليخجل ويرتدع عن اتهامه البذيء لرسول الله ﷺ، وفيه كذلك نفي للجور عن رسول الله ﷺ وإثبات لعدالته، إذ لو لم يكن عادلا لم يكن أهلا لرسالة السماء، وفيه كذلك إشارة صريحة إلى أن من يعتقد ذم النبي ﷺ بأي نوع من أنواع الذم

(١) إرشاد الساري : ٦ / ٥٧

أو نسبة صفة سيئة له أو الإساءة إلى شخصه الكريم أو اعتقاد ذلك، فقد خاب وخسر، وخيبته وخسرانه تعني هلاكه وضياعه في الآخرة وضياع دينه.

وفيه كذلك لون من اتهام المخاطب في عقله؛ أي خبت وخسرت إن لم أكن أعدل وأنت تتبعني، فعلام تتبعني؟

وفيه تنبيه وإلماح إلى خيبة وخسران هؤلاء المارقين الغالين؛ لاعتقادهم ما لا يجوز اعتقاده، والإيماء إلى أن من يتبعهم أو يسلك مسلكهم فقد وقع في شرك الخيبة والخسران.

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ ورد فعل عمر . ﷺ طبيعي، وهو انتصار لرسول الله وانتفاض لنصرته والدفاع عنه، ولا يُلام عمر على ذلك؛ لأنه أولا يحب رسول الله حبا ملأ عليه حياته، وهكذا سائر أصحابه الكرام ويفدونه بالنفس والمال.

وثانيا أنه استأذن رسول الله فلم يكن يفعل دون إذن منه.

وأمر آخر وهو يرجع إلى قوة عمر . ﷺ في الحق، وكم من مواقف له حدثت على هذا المنوال.

وضرب العنق كناية عن القتل؛ والإسلام لا يحب إراقة الدماء، ولا يدعو إلى إزهاق الأنفس، وإذا كان سيدنا عمر . ﷺ في هذا المقام قد طلب من رسول الله ﷺ أن يقتل ذا الخويصرة التميمي، فإنما فعل ذلك أو هم به؛ لفداحة الحدث وخطورة الأمر، فقد استشعر غضب رسول الله لله ولدين الله، وأحس كذلك بخطورة هؤلاء على الدين وأنها بداية مروق من الدين ومغالاة فاحشة، بالاعتراض على القادة وولاة الأمور اعتراضاً فاحشاً يفتح باب الشر علي الأمة كلها.

ثم كان الجواب من رسول الله ﷺ لعمر ﷺ: "دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ" فقد أجاب الرسول

علي عمر بفعل الأمر الذي يفيد الترك "دعه" أي دعه وشأنه ولا تقتله، وقد ورد في بعض الروايات: "حتي لا يتحدث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه"(١) فأمر القتل ليس واردا الان في هذا التوقيت للخوارج من أمثال هؤلاء، وإن كان قد أمر به في أخر الحديث . كما سيتضح بعد . لأنه واحد لم يظهر أصحابه بعد، ولم تتأكد علامات خروجه من الدين، ولا يجوز القتل بالظن أو الاعتقاد، إذ لا بد من ورود وظهور الدلائل والبراهين.

قال في إرشاد الساري: "فإن قلت: كيف منع من قتله مع أنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم؟ أجاب في شرح السنّة: بأنه إنما أباح قتلهم إذا كثروا وامتنعوا بالسلاح واستعرضوا للناس، ولم تكن هذه المعاني موجودة حين منع من قتلهم، وأول ما نجم ذلك في زمان علي -رضي الله عنه- فقاتلهم حتى قتل كثيرًا منهم. انتهى".(٢)

وقد علل ﷺ الأمر بترك قتاله بقوله: "فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ" والجملة كناية عن استقلال الانسان عبادته أمام عبادتهم وهي كناية عن شدة التزامهم في الظاهر وتمسكهم بظاهر الإسلام ومروقهم من جوهره وحقيقته.

والخبر ابتدائي ومع ذلك جاء مؤكداً بـ(إنَّ) واسمية الجملة؛ خروجاً بالكلام علي خلاف مقتضي الظاهر؛ فهؤلاء خالفوا الأمة وشقوا الصف وأحدثوا الفتنة وخرجوا علي الإمام، ولما كان أمرهم من الأهمية بمكان أكد الخبر اهتماماً به وحرصاً علي توثيقة وتنبيهاً علي خطرهم في كل زمان ومكان.

وهذا الخبر من دلائل نبوته ﷺ حيث أخبر عن أصحاب ذي الخويصرة الخارجي ولم يكن يعلمهم، وتنبأ ﷺ بوجودهم وخروجهم ونعتهم بأوصافهم التي كانوا عليها، فهم يقومون الليل ويصومون النهار قُرّاء لكتاب الله، لكنه لا

(١) إرشاد الساري: ٥٧/٦
(٢) السابق: ٦ / ٥٨,٥٧

يجاوز تراقيهم ولا يصل إلي قلوبهم ولا ينساب إلي أرواحهم ولا يتجاوز أذانهم، وهذا هو المراد بقوله: "يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ" (١)

وتنكير المسند إليه "أصحاباً " يفيد الكثرة وأنَّ هؤلاء يتبعون أول ناعق فيهم، وفي وصف النبي ﷺ لهم بهذه الأوصاف: "يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ" إشارة إلي أنَّ هؤلاء المارقين يتزيون بزي الإسلام ويلبسون ثياب الصالحين، وقلوبهم قلوب الذئاب، وهم بعملهم هذا إنما يخدعون المسلمين بصلاتهم وصيامهم وقراءتهم.

فإذا وضع أحد الصحابة صلاته مع صلاة هؤلاء في ظاهر حالها بخشوعها وتمامها وكمالها، فإنه يستقل صلاته بجوار صلاتهم، ويستقل صيامه بجوار صيامهم لكثرته، ويستقل قراءته لكتاب الله بجوار قراءتهم، لكن عملهم مردود عليهم؛ لأنهم إنما يفعلونه ابتغاء تحقيق مآربهم وأغراضهم القبيحة.

ثم بين ﷺ صفتهم أكثر فقال: "يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، – وَهُوَ قِدْحُهُ –، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ".

وهذه أوصاف دقيقة قائمة ومؤسسة علي تشبيه تمثيلي بديع؛ حيث شبه ﷺ حال هؤلاء الخارجين المارقين الغالين في ظهورهم بثوب الإسلام وسرعان ما يتفلت منه وينسلخ منه تماماً دون أن يبقي للإسلام أثر في نفوسهم، بحال السهم يطلق علي الرمية وهي الصيد فيقتحم جسدها ويخرج منه سريعاً وهو من شدة سرعة خروجه لا يعلق به شيء من فرث أو دم، لا في نصله ولا في رصافه ولا في نَضيّه، وهو قدحه ولا في قُذذه، وكأنه ما دخل

(١) وهي جمع تَرْقوه بوزن فَعْلوة ولا تقل: تُرْقوة بالضم، وهي عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين وجمعهما التراقي، والترقوتان: العظمان المشرفان بين ثغرة النحر والعاتق تكون للناس وغيرهم. لسان العرب: ترق

فيها، ووجه الشبه هو حال من يدخل الشيء ويخرج منه بسرعة فائقة دون أن يحمل أثراً علي جوهره يدل علي أنه دخل فيه.

وما أجمل دقته ﷺ في اختيار كلماته، فنجد كلمة "يمرقون" (١)

فالمروق خروج بسرعة، وهذا دليل على أن هؤلاء لم يدخلوا الدين عن قناعة وإيمان، وإنما دخلوه تحقيقا لمآربهم الخبيثة، ثم سرعان ما يمرقون منه ويخرجون سريعا سريعا كما يمرق السهم من الرمية.

قال في إرشاد الساري: "المقصود بالدين: دين الإسلام؛ أي يخرجون منه من غير حظ ينالهم منه، وفيه حجة لمن يكفر الخوارج، وإن كان المراد بالدين الطاعة للإمام فلا حجة فيه وإليه ذهب الخطابي".(٢)

وهذا التشبيه يوحي ببعد هؤلاء عن جوهر الدين، وسواء خرجوا من الإسلام أم خرجوا عن طاعة الإمام فهم خوارج مارقون، وتأكيدا وتوثيقا للمعنى الذي أراده النبي ﷺ وهو خروجهم سريعا من الدين وعدم وجود أثر له في حياتهم، قيّد التشبيه أو بالأحرى قيّد المشبه به، وهو السهم المارق من الرمية، فذكر له عدة أوصاف قائلا: "يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ"، والنصل: حديدة السهم والرمح(٣)، أي لا يوجد في النصل شيء من الدم أو لحم الرمية، فقد دخل من ناحية وخرج سريعا من الناحية الأخرى، وهكذا الخارجي يدخل

(١) قال في اللسان: "مرق السهم من الرميّة يمرُق مرقا ومروقا: خرج من الجانب الآخر، وفي الحديث وذكر الخوارج: يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية: أي يجوزونه ويخرقونه ويبعدونه كما يخرق السهم المرميّ به ويخرج منه، وفي حديث عليّ ـ عليه السلام . أُمرت بقتال المارقين: يعني الخوارج، ولذلك سميت الخوارج مارقة، والمروق: الخروج من شيء من غير مدخله، والمارقة الذين مرقوا من الدين لغلوهم فيه، والمروق: سرعة الخروج من الشيء" لسان العرب: مرق والرّميّة: هي الطريدة التي يرميها الصائد. لسان العرب: رمى

(٢) إرشاد الساري : ٦ / ٥٨

(٣) لسان العرب: نصل

الدين ويخرج سريعا، فإذا بحثت فيه عن أثر للدين في سلوكه أو نفسه فلا تجد شيئا، فتعيد النظر مرة أخرى لعلك أخطأت التنقيب في المرة الأولى، قال: "ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ [١]، أي يعاد النظر إلى رصاف الرمح لعله قد علق به شيء من أثر الرميّة فلا يوجد شيء، ثم يعاد النظر مرة ثالثة: "ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، – وَهُوَ قِدْحُهُ –، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ"، قال البيضاوي: "قوله: "وهو قدحه" تفسير من الراوي؛ أي عود السهم قبل أن يُراش وينصل، أو هو ما بين الريش والنصل، وسمي بذلك؛ لأنه بُري حتى عاد نضوا، أي هزيلا".[٢]

إن هؤلاء الغالين المارقين تجردوا من كل معالم الإسلام، فلا أثر للإسلام في أخلاقهم ولا في حياتهم وسلوكهم، فقد خرجوا منه كما دخلوا فيه، فلا تتعب نفسك في البحث فيهم عن أثر لدين الله، فإنك لن تجد له أثرا.

فإذا حدثتك نفسك بالمعاودة مرة أخرى علّك تجد أثرا فسترجع بخفّي حنين، قال: "ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ" [٣]، والمراد: يعاد النظر في السهم الذي أنفذ في الرمية هل به شيء من دمها فلا يوجد شيء لسرعة مروقه، وهو تأكيد على ما سبق من تجرد هؤلاء من معالم الدين، ثم قال: "قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ" والفرث: هو ما يكون في الكرش، حيث لم يظهر أثرهما فيه، بل خرجا بعده، وكذلك هؤلاء لم يتعلقوا بشيء من الإسلام.

إنَّ النبي ﷺ أراد بهذه الأوصاف المقيدة للمشبه به وهو الرمح المارق، أن يؤكد على عدم وجود أثر أي أثر وإن كان يسيرا للإسلام في نفوس هؤلاء

---

(١) الرصف: مصدر رصفت السهم أرصفه، إذا شددت عليه الرصاف، وهي عقبة تُشدُّ على الرُّغط، والرُّغط: مدخل سنح النصل، يقال: سهم مرصوف. لسان العرب: رصف

(٢) إرشاد الساري : ٦ / ٥٩

(٣) القُذذ جمع قُذّة، وهي الريش الذي على السهم، ويُقال: حذو القُذّة بالقُذّة، مثل يضرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان. لسان العرب: قذذ

المارقين، ومردُّ ذلك إلى خبث نفوسهم، وسوء طويّتهم، فهؤلاء لا يُرجى منهم خير، ولا يُنتظر من أمثالهم وأشياعهم إلا الفتنة وتفريق الأمة، وكأن النبي ﷺ يحذرنا من خطرهم وينبهنا إلى ضررهم، مهما ظهروا بثوب الدين فلن يخدعوكم، فقلوبهم قلوب الذئاب الغادرة.

إن التشبيه ينقل لنا صورة معنوية بصورة حسية عملية واقعية، وهي صورة ليست غريبة على العربي بل مألوفة لديه ليل نهار في حله وترحاله وحروبه، وكأنه ﷺ أراد منا أن ننظر إلى حال هؤلاء فنتمثل حالهم ونراهم رأي العين، ونراهم عين اليقين حتى نحذرهم، وما ذاك التأكيد والتفصيل إلا لخطورتهم على الأمة.

ثم ذكر ﷺ علامة أخرى لهؤلاء وهي من دلائل نبوته ﷺ قال: "آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ" والتشبيه هنا في المقدار والحالة المترهلة أو المتدلية، ولذا قال: "أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ" أي تتحرك فتجيء وتذهب[1]، والبضعة: القطعة من اللحم، وأصل تدردر: تتدردر، وأصله حكاية صوت الماء في بطن الوادي إذا تدافع[2] وهذا وصف دقيق من رسول الله ﷺ.

ثم بين وقت خروجهم فقال: "وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ" أي زمان افتراق، وروي: على خير فرقة، أي أفضل طائفة من الناس، وهم علي بن أبي طالب وأصحابه . رضي الله عنهم . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ.

(١) شرح السنة للبغوي : ١٠ /٢٢٦
(٢) إرشاد الساري : ٦ / ٥٩

وختام الحديث بهذا التأكيد من راويه أنه سمعه من رسول الله ﷺ في حين أنه روى عنه كثيرا من الأحاديث الأخرى ولم يقل ذلك؛ راجع إلى أهمية الحديث لاشتماله على كشف أسرار الخوارج وهتك سترهم وفضحهم أمام الأمة حتى يحذروهم.

وشهادته الثانية أن سيدنا علي بن أبي طالب قاتلهم وهو معه، وأنه أمر بالرجل الذي وصفه رسول الله ﷺ فالتمس في القتلى، فأُتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته، هذه الشهادة الثانية تأكيد على صدق رسول الله ﷺ ، فهو ما ينطق عن الهوى والرأي والاجتهاد، وإنما يوحى إليه من السماء.

وحين نعيد النظر في تشبيه النبي ﷺ السابق نجد التشبيه قد شاعت فيه ألفاظ كلها من ميدان الحرب والقتل والتخريب والفساد، فتجد ألفاظ: السهم، الرمية، النصل، الرصاف، القذذ، والنضيّ، والدم، والفرث؛ والمروق، وهذه الألفاظ الدموية تتوافق مع طبيعة الخوارج الدموية، حيث يقتلون الأبرياء بلا شفقة أو رحمة، ويزهقون الأنفس والأرواح، ويستحلون دماء المسلمين دون وازع أو رادع من دين أو ضمير.

الحديث السابع

(النهي عن إطراء النبي ﷺ)

٣٤٤٥ – حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ، يَقُولُ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ ﷺ، يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»(١)

المعنى العام وسبب ورود الحديث:

في هذا الحديث الشريف ينهى النبي ﷺ أصحابه الكرام عن إطرائه، والمبالغة في مدحه والثناء عليه، والإطراء: هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، وذلك أن النصارى أفرطوا في مدح عيسى . عليه السلام. وإطرائه بالباطل.(٢)

وسبب ورود الحديث . كما ذكر ابن حجر . فيما يظهر ما وقع من حديث معاذ بن جبل لما استأذن في السجود له فامتنع ونهاه، فكأنه خشي أن يبالغ غيره بما هو فوق ذلك، فبادر إلى النهي تأكيدا للأمر.(٣)

فالنهي في الحديث على حقيقته وأصل معناه وهو الوجوب.

التحليل البلاغي:

وقد بني الحديث كله على تشبيه تمثيلي؛ حيث شبه ﷺ ما يمكن أن يقع من إطراء الصحابة . رضوان الله عليهم . رسول الله ﷺ بالمبالغة في مدحه والغلو في الثناء عليه، لدرجة أنهم حين ذهبوا إلى أباطرة الروم، ووجدوا النصارى تعظم أباطرتهم بالسجود، فعرضوا على النبي ﷺ السجود له

(١) صحيح البخاري : ٤ / ١٦٧ حديث رقم : ٣٤٤٥
(٢) شرح السنة للبغوي: ١٣ / ٢٤٦
(٣) فتح الباري: ١٢ / ١٤٩

تعظيما، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك قائلا: " لَو كنت آمرا بشرا أَن يسْجد لبشر، لأمرت الْمَرْأَة أَن تسْجد لزَوجهَا "(١)

وما يترتب على ذلك من غلو عقدي في الدين بتقديس البشر وإنزالهم بمنزلة الألوهية . شبّه هذه الهيئة المركبة بهيئة تقديس النصارى لسيدنا عيسى ابن مريم . عليهما السلام . حيث غالوا فيه فجعلوه إلها تارة، وتارة جعلوه ابن الله، وأخرى أقاموه مقام الله، أو مشتركا معه سبحانه في الألوهية . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وقد برئ منهم سيدنا عيسى . عليه السلام- ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة: ١١٧]، ولعن الله الذين جعلوه إلها مع الله.

ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة مما يؤول إليه حال المعظمين للبشر تعظيما وإطراء يخرجهم عن دائرة البشرية إلى مرتبة الألوهية، وهو غلو منكر وإطراء باطل ومبالغة ممقوتة ووصف ممقوت في ديننا.

وقد نهى القرآن الكريم أتباع عيسى عليه السلام عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾[النساء: ١٧١] ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة: ٧٧]

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين: ١ / ٦٥ المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) . المحقق: علي حسين البواب . الناشر: دار الوطن – الرياض.

بل وحكم عليهم بالكفر ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١٧] ،﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢] ، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة: ٧٣]

فبادر ﷺ أمته بالنهي الصريح: «لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ»، والإطراء لم يقع بعد، قال في فتح الباري: "قال ابن الجوزي: ولا يلزم من النهي عن الشيء وقوعه؛ أنا لا نعلم أحدا ادعى في نبينا ما ادعته النصارى في عيسى"(١)، ووراء النهي حرص بالغ من رسول الله ﷺ على أمته من الوقوع في الشرك بتأليه البشر، فحذرها من الغلو فيه ومجاوزة الحد في مدحه وإطرائه والثناء عليه، ووصفه بصفات الله تعالى، كما غلت النصارى فألّهوا عيسى . عليه السلام- وقد تبرّأ منهم، فوقعوا في الشرك وتركوا التوحيد فضلوا وأضلوا.

ولما كان المقام مقام إعلاء لتوحيد الله والنهي عن الشرك به بإطراء الأنبياء أو غيرهم ممن سواهم، أردف ﷺ نهيه المؤسس على التشبيه والتمثيل، أردفه بأسلوب قصر قائلا: « فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»

(١) فتح الباري : ١٢ / ١٤٩

والقصر هنا طريقه "إنما" وهي إنما تأتي في المقامات القوية الشديدة التي يطرح فيها المتكلم قضيته على أنها من المسلمات أو البدهيات.

فقد قصر ﷺ نفسه على العبودية لله والرسالة، وهو قصر إضافي قصر صفة على موصوف، أي إنما أنا عبد الله ورسوله ولست إلها حتى تسجدوا لي أو تعظموني كما يعظم النصارى رسلهم، وهو قصر تعيين، حتى يقطع على الأمة باب التردد في إطرائه بمجاوزة الحد والغلو في الدين غلوا يخرجهم عن العقيدة الصحيحة، والصحابة لم يقع منهم تردد، وإنما نزلوا منزلة من يتردد في جواز السجود له أو إطرائه، لا سيما أنه قد وقع من بعضهم سؤال رسول الله ذلك فنهاهم عنه.

ووراء القصر تأكيد على بشريته ﷺ وعبوديته لله، وأن غاية ما يوصف به أنه رسول الله وعبده.

وقد وصفه القرآن بذلك: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: ١] ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ [النجم: ١٠] ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾ [الجن: ١٩]، وغير ذلك من الآيات.

وقدم العبودية على الرسالة؛ لأن العبادة وظيفة العمر ومهمة البشر في هذه الحياة ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وتأكيدا على جملة القصر أتبعها بفعل الأمر: "فقولوا: عبد الله ورسوله"

والأمر هنا للوجوب، وهو يصحح مسار المترددين الحائرين، ويقطع أمام شيطان الغالين في الدين بتقديس البشر يقطع أمامهم طريق الانحراف، وبعلم الأمة ما يجب أن تسير عليه في حياتها، فهو ﷺ أولا عبد الله، وثانيا هو رسوله المبلغ لأمانة الرسالة والحافظ لوحي السماء.

والعبودية لله شرف ما بعدها شرف، ومنزلة تصعد بالعبد إلى آفاق السماء، فإذا شفعت بالرسالة فذلك أتم وأكمل؛ لأن الرسالة اصطفاء لبعض عباد الله.

لقد استشعر الرسول خطر تقديس البشر حتى وإن كان رسول الله، وخشي على أمته أن تقع فيما وقعت فيه النصارى فتضل في غياهب الشرك وتقع في عبودية غير الله.

وقد استشهد سيدنا عمر بذلك الحديث على المنبر وهو يتحدث عن النهي عن إطراء البشر، وفي نفس الوقت يمدح أبا بكر . ﷺ ويبين فضائله بما لا يصل إلى حد الإطراء، حتى يسد هذا الباب، ويحثو التراب في وجه المدّاحين، المغالين بتقديس البشر، قال ابن حجر: "والنكتة في إيراد عمر هذه القصة هنا أنه خشي عليهم الغلو؛ يعني خشي على من لا قوة له في الفهم أن يظن بشخص استحقاقه الخلافة فيقوم في ذلك، مع أن المذكور لا يستحق فيطريه بما ليس فيه، فيدخل في النهي ويحتمل أن تكون المناسبة أن الذي وقع منه في مدح أبي بكر ليس من الإطراء المنهي عنه، ومن ثم قال وليس فيكم مثل أبي بكر"[1]، وهكذا يعلمنا رسول الله ﷺ التواضع، وأن الشرف كل الشرف في العبودية لله، وأن يتوسط المسلم في مدح أخيه، وأن يبتعد عن الإطراء والمبالغة في الثناء، بل علينا إذا ذكرنا أحدا بخير أو ثناء أن نقول: "نحسبه كذلك والله حسيبه" وكأن ثناءنا يدخل في دائرة الحسبان القائم على الظن، فلا يعلم الخفايا والأسرار إلا رب العالمين.

(١) فتح الباري : ١٢ / ١٤٩

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخير من نطق بالضاد، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

فبعد أن طوّفنا حول موضوع "أحاديث النهي عن الغلو في الدين دراسة بلاغية"، يمكن أن ندوّن هنا أبرز النتائج التي أسفر عنها البحث، وهي تتمثل فيما يلي:

. أولا: كثر في أحاديث النهي عن الغلو في الدين الأسلوب الخبري، يستعين به النبي ﷺ على بيان قوة الدين، "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ"، وبيان خشيته لله وتقواه أكثر من سائر أصحابه الكرام ومع ذلك يقتصد في الطاعات "إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"، ويوضح من خلاله تحمل العلماء لأمانة العلم "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"، وكلها أخبار مؤكدة في مجملها بأكثر من مؤكد، ويجمعها ملمح بلاغي مشترك، وهو أن التأكيد فيها ليس راجعا إلى كون المخاطب مترددا أو منكرا للخبر، وإنما نزل منزلة المنكر أو المتردد، أو أن التأكيد راجع إلى قوة الخبر في ذاته وأهميته، وهذا فيما يتعلق بالعبادات.

أما فيما يتعلق بالعقائد فقد جاء بعضها كذاك مؤكدا في مقام الحديث عن الخوارج وصفاتهم من خلال الحديث عن ذي الخويصرة التميمي كبيرهم "فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ"

وهو تأكيد على الانحراف الفكري والعقدي في عقيدة الخوارج إما بالإفراط أو التفريط؛ لذا جاء بالتأكيد لبيان خطورة أصحابهما على المجتمع بأسره، فهم يستحلون دماء المسلمين ويكفرونهم، ويظهرون للناس بثياب الملائكة لكنهم يحملون قلوب الشياطين.

. **ثانيا:** كثرت الأساليب الإنشائية في أحاديث النهي عن الغلو في الدين كثرة متفاوتة بتفاوت المقامات وتنوع أساليب الإنشاء:

. فنجد أكثرها ورودا هو أسلوب الأمر؛ حيث ورد في سبعة مواضع هي على التوالي:

(فأوغل فيه برفق، القط لي حصى، أمثال هؤلاء فارموا، اعدل، ائذن لي، دعه، فقولوا: عبد الله ورسوله)، بينما لم يرد النهي سوى مرتين: "وَلاَ تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ"، "لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ"، وهذا أمر يسترعي الانتباه؛ حيث إن البحث قائم في الأصل على النهي، وحين تأملت هذه المفارقة العجيبة وجدت ما يلي:

١ـ جاء النهي عن الغلو في الدين مرتين، وهما على منوال ما جاء في القرآن الكريم، حيث جاء كذلك مرتين وهما قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ ﴾ [النساء: ١٧١].

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧ ﴾ [المائدة: ٧٧].

واللافت للنظر أنهما جاءا في مقام نهي أهل الكتاب عن الغلو في الدين بتقديس الأنبياء وتأليه عيسى . عليه السلام. أو نسبته إلى الله، وذلك في القرآن الكريم.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم كذلك جاء مرتين: "وَلاَ تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ"، "لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ" وقد اتفق الموضع الأخير مع الآيتين في النهي عن تقديس

الأنبياء، بل وقاس النبي ﷺ نهيه على جريمة النصارى في تأليه عيسى . عليه السلام . وهذا ما يؤكد توافق القرآن والسنة وتكاملهما، فإذا كان القرآن لم ينه عن إطراء رسول الله، فإنه نهى أهل الكتاب عن الغلو في عيسى . عليه السلام . وإطرائه، وجاءت السنة بالنهي الصريح عن إطراء رسول الله ﷺ، فالقرآن معنيّ بذكر قصص الأمم السابقة، وما وقعوا فيه من مخالفات، معتمدا على أسلوب الإيماء والتلميح والتعريض لهذه الأمة حتى لا تقع فيما وقعوا فيه؛ وقد اقتضت وجازة ألفاظه واكتناز معانيه أن يلمح إلى بعض المعاني إلماحا مقصودا أو مفهوما بذكر قصص الأمم السابقة، دون توجيه النهي لهذه الأمة مباشرة؛ مراعاة للمقام، وإيثارا للإيجاز، وإعمالا للعقول، واعتمادا على القرائن والسياق.

بينما تأتي السنة النبوية بالنفي الصريح: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم)؛ لخشيته ﷺ أن يقع بعض أفراد أمته فيما وقع فيه أهل الكتاب، باستدراج الشيطان لهم نحو الشرك بوسائل الغواية والإضلال القائمة على إطراء الأنبياء والصالحين، هذا في مقام النهي عن الغلو العقدي، أما في مقام النهي عن الغلو في العبادات، فقد جاء قوله ﷺ: (ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله)؛ حتى يستوعب بالنهي الأمرين معا ؛ لأنهما قوام الدين.

٢. الأمر والنهي وجهان لعملة واحدة، وكلاهما يقتضي الآخر؛ فحين تقول: صلّ، فإنه بفيد: لا تهمل في صلاتك، بينما الأمر قوي ومناسب جدا في مقام التعليم والإرشاد والدلالة على الطريق القويم كما في قوله: (فأوغل فيه برفق، القط لي حصى، أمثال هؤلاء فارموا، اعدل، ائذن لي، دعه، فقولوا: عبد الله ورسوله)، وكلها مؤسسة وقائمة على التعليم والإرشاد للأمة، إلى طريق الحق والرشد والصواب، وبيان بعض شرائع الإسلام.

وقد حملت بعضها دلالة لغوية تفيد الترك، كما في (دعه) والترك نهي لغوي، وهو يتعاضد في قوته مع أسلوب النهي، ليكون عماد الأحاديث قائما على الأمر والنهي.

. ثم يأتي أسلوب النداء وقد ورد بصيغتين، إحداهما(يا أيها الناس) في قوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ) والنداء هنا للمؤمنين خاصة، لكن ناداهم بـ"الناس"؛ وهو في مقام الحج؛ لبيان عالمية الإسلام، ولأنهم كانوا يحجون المسلم منهم وغير المسلم، وهو أسلوب القرآن الكريم في آيات الحج قال تعالي: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وقال سبحانه:﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٩٩]، وقال عز وجل: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحج:٢٧]، وغير ذلك من الآيات التي تحدثت عن المؤمنين بلفظ الناس ووراءه إيحاء بإيذان انتشار الإسلام ليصل لكل الناس وليكون دين كل الناس.

أما الصيغة الثانية للنداء فهي (يا رسول الله) وقد وردت في موضعين: (يا رسول الله اعدل، يا رسول الله ائذن لي)، والمنادي الأول هو ذو الخويصرة التميمي رأس الخوارج وهو يعترض علي قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين، والثاني هو سيدنا عمر بن الخطاب . ﷺ وهو يستأذن رسول الله ﷺ في قتل ذي الخويصرة الخارجي لتطاوله علي رسول الله.

وهي صيغة متعارفة في نداء رسول الله ﷺ وقد وردت من الصالح والطالح، أما الصالح فهو سيدنا عمر . ﷺ وهي تؤذن بتقدير الصحابة الكرام رسول الله ﷺ والإيمان به وبرسالته، وأما الطالح وهو ذو الخويصرة الخارجي فصدورها منه يشير إلي الانفصام العقدي عند هؤلاء؛ فهو يؤمن بأنه رسول الله ومع ذلك يأمره قائلاً: "اعدل"، وهذا يعكس لنا الشخصيتين المتناقضتين لدي هؤلاء المارقين.

. ثم يأتي الاستفهام وقد وقع ثلاث مرات، اثنتان من رسول الله ﷺ: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟)،(ومن يعدل إذا لم أعدل؟)، ويراد منهما الإنكار وهو إنكار يتوافق مع ما صدر من الصحابة حين شددوا علي أنفسهم في الصيام

الدائم والقيام واعتزال النساء، ويتوافق كذلك مع الأعرابي ذي الخويصرة الذي أمر النبي ﷺ في تبجح ووقاحة قائلاً: (اعدل)، وفي الإنكار عموما من رسو الله ﷺ إيعاز بالرفض وعدم الرضا والقبول لأي مظهر من مظاهر الغلو في الدين سواء كان عملياً أم عقدياً؛ وإبراز وبيان لسماحة هذا الدين ويسره وبعده كل البعد عن التطرف والمغالاة.

والموضع الثالث وقع الاستفهام من الصحابة الكبار: (أين نحن من رسول الله ﷺ ؟) والغرض منه الاستبعاد؛ لبيان بُعد المنزلة بينهم وبين رسول الله، وهو ما حملهم علي فعل ما فعلوه، وهو مستند عقلي لتبرئة ساحتهم من الغلو، إذ فعلوا ذلك معتقدين حاجتهم إلي الزيادة في العبادات.

ـ ثم يأتي الدعاء من الأساليب الإنشائية الطلبية، وقد ورد ثلاث مرات، وجملتها وقع من رسول الله ﷺ علي المتنطعين المتشددين في الدين: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا، «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ».

وورود هذا الدعاء علي المتشددين الغالين في الدين مع أنه ﷺ قال عن نفسه: "لم أبعث لعاناً"، ومع أنه لم يدع علي المشركين من قومه وإنما قال: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون" يشعرك بشدة خطورة هؤلاء المارقين علي الأمة، وأنهم أشد خطراً وضرراً حتي من المشركين.

. وأخيراً يأتي التحذير: (إياكم والغلو في الدين) وهو تحذير صريح من مغبة الوقوع في الغلو في الدين؛ حتي تتجنبه الأمة وتبتعد عن كل ما يؤدي إليه.

ـ والقسم لم يرد إلا مرة واحدة في قوله ﷺ: "أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له" مترافدا مع أدوات التأكيد المختلفة كإن واسمية الجملة واللام، وليس ذلك دفعا لإنكار الصحابة . رضوان الله عليهم . خشيته ﷺ وإنما جاء هكذا للاهتمام بالخبر واستشعاره ﷺ خطورة الاجتهاد الشخصي في وصال العبادات بتلك الطريقة التي تفضي بأصحابها يوما ما إلي الجلوس والترك والانقطاع.

. **ثالثا:** جاء القصر في الأحاديث مرتين: "فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"، "فإنما أنا عبده"، وبالتأمل في تلك الأساليب يظهر ما يلي:

١ـ اتفقت في أن القصر فيها طريقه "إنما"؛ تأكيدا علي مضمون جملة القصر، وإضفاء لطابع البدهية عليها، وأنها من المسلمات التي لا يشك فيها.

٢. انفرد الموضع الأخير بمقام النهي عن الغلو العقدي مما يتصل بالنهي عن إطراء رسول الله ﷺ؛ ليؤصل في نفوس أتباعه الفرق بين مرتبة العبودية والألوهية، فالعابد بشر ولو كان نبيا، حتي لا ينزلق البعض إلي المبالغة بالإطراء فيقع في المحظور.

وانفرد الأول ببيان أن هلاك الأمم السابقة إنما كان بسبب الغلو في الدين وفي هذا إشعار وتأكيد لخطورة الغلو في الدين وكثرة السؤال والاختلاف، وأنها جميعاً مؤذنة بالهلاك، ومؤدية إلي الخسران الحقيقي في الدنيا والأخرة، ليقطع بذلك الطريق علي الغالين المجادلين المارقين.

٣ـ لم يقل النبي ﷺ: إنما كان الغلو في الدين وكثرة السؤال سببا في الهلاك، وإنما ضرب مثلاً بالأمم السابقة؛ لأن هلاكهم مشاهد ومعروف لديهم ومتواتر علي أسماعهم، ليقيسوا الغائب علي الشاهد، ويعتبروا بما حدث لغيرهم ممن سبقهم من هلاك وخسران بسبب الغلو في الدين وكثرة السؤال.

ـ **رابعا:** جاء التشبيه في أحاديث النهي عن الغلو في الدين في ستة مواضع، ومعظمها تشبيه تمثيلي هي قوله: (كأنهم تقالوها، كما يمرق السهم من الرمية، مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقي).

وبالتأمل في تلك التشبيهات يتضح ما يلي:

١ـ استعمل النبي ﷺ من أدوات التشبيه "كأن" (مرة واحدة)، والكاف (مرتين)، ومثل (مرتين)، وجاء واحد في هيئة التشبيه الضمني.

٢. ورد تشبيهان في مقام النهي عن الغلو في العبادات وهما: (فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقي، كأنهم تقالوها).

الأول تمثيلي: جاء في صورة التشبيه الضمني؛ حيث ساق القضية بدليلها؛ ليبين من خلاله حال الغالين المشددين علي أنفسهم المبغضين لأنفسهم عبادة الله، فيؤول أمرهم إلي الترك والملال والكلال والانقطاع، بحال من أجهد راحلته ومراها بساق وأتعبها حتي كلت وانقطعت فانقطع به السبيل، فلا هو وصل إلي غايته ولا هو أبقي راحلته.

إنها صورة راقية إنسانية عالمية تصلح لكل زمان ومكان ومع كل جنس وفي كل عمل سواء تعلق بالدنيا أم بالآخرة، ليرتقي التشبيه بذلك إلي أن يكون منهج حياة، تؤسس من خلاله قاعدة حياتيه في شتي شئون الحياة.

والثاني: (كأنهم تقالوها) تمثيلي كذلك يوحي بتمثيل حالهم بحال من استقل عبادة رسول الله لما بدا عليهم من أمارات تفيد ذلك.

فالمشبه هنا هو ظاهر الحال وهو محذوف ومفهوم من السياق، وقد رد عليهم رسول الله ﷺ بما يفيد خطأهم في اعتقادهم.

والتشبيهان يؤصلان في النفوس يسر الإسلام وسماحته وبعده عن الغلو والتشدد بتكليف النفس ما لا تطيق فيما يتصل بأمر العبادات أو حتي بشؤون الحياة.

٣ـ وردت التشبيهات الأربعة الباقية في مقام النهي عن الغلو في العقائد، ثلاثة منها وردت في الحديث عن أصل الخوارج وهو ذو الخويصرة التميمي، وأوصاف الرجل الأسود الذي يعرف به أتباعه، وذلك في قوله: (كما يمرق السهم من الرمية، مثل ثدي المرأة، مثل البضعة تدردر) وكلها تشبيهات من وادي القتل والحرب، لتشير بذلك إلي تأسيس عقيدتهم علي سفك الدماء وقتل

الأبرياء، وما ورد من وصف ذلك الرجل الأسود بأنه احدي عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر . القطعة من اللحم . فهو بيان لمقدار وجه الشبه، وعلامة يعرف بها الرجل ويميز بها، ونبوءة صدق من رسول الله ﷺ، فقد التمس الرجل في القتلى بأمر أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب . كرم الله وجهه . فوجد، وشهد الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري . ﷺ راوي الحديث علي صدق رسول الله بما رآه بعينيه من تطابق أوصاف الرجل علي النعت الذي نعته رسول الله ﷺ.

والتشبيه الأخير جاء في مقام النهي عن إطراء النبي ﷺ كما أطرت النصارى ابن مريم (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) وهو نهي صريح مدعم بالدليل من خلال التشبيه، للتبشيع والتنفير من الوقوع فيما وقعوا فيه من ضلال.

ـ خامساً: ظهرت كثير من الأساليب البلاغية الراقية في ثنايا الأحاديث، كوضع المظهر موضع المضمر كما في قوله: (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)، وكالتكرار ثلاث مرات في قوله: (هلك المتنطعون)، وكحسن التعليل في قوله: (فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى).

كما ظهر من الألوان البديعية الطباق والمقابلة وبراعة الاستهلال وحسن التقسيم، وهي في مجملها ظواهر بلاغية أو بديعية رائقة في معرضها مناسبة في مقامها مؤدية لدورها البلاغي في السياق، ناهضة بمهمتها الوظيفية في دقة وبلاغة وحسن وجمال الكلام النبوي المبارك، حسنا يقترب من حد الإعجاز ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٤، ٣].

. سادساً: ظهر استثمار النبي ﷺ المواقف الدعوية في النهي عن الغلو في الدين، مدعما القول بالفعل والكلام بالتطبيق العملي كما في موقف رمي الجمرات (القط لي حصى) ثم قال (أمثال هؤلاء فارموا)، وكما في موقف أصحابه الكرام حين تقالّوا عبادة رسول الله لما أخبروا بها، وكما في موقف ذي

الخويصرة الذي اعترض علي قسم رسول الله ﷺ يوم حنين، فبين من خلاله أوصاف الخوارج حتي يحذرهم المسلمون في كل زمان ومكان.

كل تلك المواقف الدعوية يستثمرها رسول الله ﷺ عمليا، ليدعم نهيه عن الغلو في الدين بواقع مشاهد يمتلئ بالخزي والدمار والهلاك لمن غالوا في الدين، واشتطوا بعقولهم واتبعوا أهواءهم، وكأنه يقول لنا توقفوا عند حدود أمر الله ولا تتجاوزوه ولا تشرعوا لأنفسكم ديناً من ذات أنفسكم فإن الدين يؤخذ بالنقل لا بالعقل، وبالاتباع لا بالابتداع.

. سابعاً: برز بوضوح شديد في أحاديث النهي عن الغلو في الدين ملمح عالمية الإسلام من خلال عبارته ﷺ وتشبيهاته وحسن نظم الأحاديث ونداءاته وغيرها، خذ مثلا النداء تجده كثيراً ما يعول علي صيغة النداء بـ "يا أيها الناس"، أو أخباره مثل قوله: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله"، فهو معني عام في علماء كل زمان ومكان، وفي دعائه كما في قوله "هلك المتنطعون" وفي تشبيهاته كما في قوله: "فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقي" وهو معني إنساني عام وقاعدة حياتية تصلح لكل زمان ومكان باختلاف الأجناس والأديان مع البشر وغيرهم.

وهذا الملمح له دلالتان:

ـ الدلالة الأولي: أن دين الإسلام دين عالمي يصلح لكل زمان ومكان، ويضمن السعادة والتوفيق والنجاة والفلاح لأتباعه ويصل بهم إلي بر الأمان ومرفأ السلام.

. الدلالة الثانية: أن من ملامح عالمية هذا الدين خلوه من الغلو والتطرف والإرهاب والتشدد في أصل تشريعاته حتي يكون صالحاً للبشر جميعاً وفي وسعهم وطاقتهم لا فوق ما يطيقون، وأن ما يحدث من بعض أتباعه من تطرف أو تشدد أو تنطع، فإنما يمثل أصحابه ومبتدعيه ولا يمثل الإسلام في شيء والدين منه براء، فما فرض الله علينا في الدين شيئا يفوق الوسع والطاقة، بل إن في ديننا رخصاً في كل تشريعاته ومراعاة لأحوال الناس علي

اختلاف طاقاتهم وصحتهم ومرضهم وظروفهم المتباينة، بحيث يجد كلٌّ في الإسلام بُغيته ويؤدي دوره وما فرض عليه بحب وأريحية لا بمشقة وتعسف وعنت يتجاوز الطاقات، فهو سبحانه الذي خلق والذي شرع، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وبارك وسلم تسليماً كثيراً.

الفهارس

أولا: فهرس الأحاديث النبوية

ثانياً: فهرس المصادر والمراجع

ثالثا: فهرس الموضوعات

أولا: فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث	الصفحة
١	أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ	٣١
٢	إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ	١١، ١٥، ٥٣
٣	إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ	١٣
٤	إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ	٢٥
٥	دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ	٥٦
٦	صم صيام داود	١٨
٧	لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ	٦٧
٨	هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ	٥١
٩	يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين	٤٢

ثانيا: فهرس المصادر والمراجع

١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ـ المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) ـ الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة.

٢- أساس البلاغة للإمام الزمخشري ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ سلسلة الذخائر ٢٠٠٣م.

٣- بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار ـ المؤلف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: ٣٨٠هـ) المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي ـ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٤- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٥- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ـ المؤلف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ) ـ المحقق : مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى ـ الناشر : مؤسسة القرطبه.

٦- التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ. المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ) المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم . الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض . الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٧- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام النووي . تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح عويضه . دار المنار.

٨- الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»)، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي ـ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٩- سنن أبي داود ـ المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ـ الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت.

١٠- سنن ابن ماجه ـ المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) ـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

١١- السنن الكبرى للبيهقي ـ الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد الطبعة الأولى . ١٣٤٤ هـ.

١٢- شرح السنة للبغوي . المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) ـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش ـ الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت . الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١٣- شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى» المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي ـ الناشر: دار المعراج الدولية للنشر.

١٤- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) . المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) . المحقق: د. عبد الحميد هنداوي ـ الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) . الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

١٥- صحيح البخاري ـ المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ـ الناشر: دار طوق النجاة

(مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري . المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) . الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٧- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة . دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية ـ تأليف: عبد الرحمن بن مُعلّا اللويحق، مؤسسة الرسالة . الطبعة الثانية . ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م.

١٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) ـ تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرين ـ الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية. ـ الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة . الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

١٩- كشف المشكل من حديث الصحيحين ـ المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ـ المحقق: علي حسين البواب . الناشر: دار الوطن – الرياض.

٢٠- لسان العرب لابن منظور . دار الحديث . القاهرة ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٣م.

٢١- المجازات النبوية للشريف الرضي . علق عليه ووضع حواشيه: كريم سيد محمد محمود . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان

٢٢- مختار القاموس . المؤلف: الطاهر أحمد الزواوي . الدار العربية للكتاب ـ ليبيا . ١٩٨٠.

٢٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ـ المحقق: أحمد محمد شاكر . الناشر: دار الحديث – القاهرة . الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٤- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار- المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) - المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩) - وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧) - وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨) - الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة . الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٢٥- مسند الشاميين - المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني - الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ - ١٩٨٤ . تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٢٦- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ - المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) . المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٧- مطالع الأنوار على صحاح الآثار . المؤلف: إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (المتوفى: ٥٦٩هـ) - تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث - الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر . الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.

٢٨- من البلاغة النبوية في بيان يسر الإسلام في العبادات البدنية(الطهارة والصلاة والصوم والحج) إعداد الدكتور/ محمد صبري محمد بهيتة المدرس في قسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق جامعة الأزهر الشريف، وقد نشرت في مجلة الكلية في عددها السادس عشر ٢٠١٦م.

ثالثا: فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	ملخص البحث	٤
٢	مقدمة	٦
٣	تمهيد	١١
٣	المبحث الأول (أحاديث النهي عن الغلو في العبادة دراسة بلاغية)	١٣
٤	الحديث الأول (إن هذا الدين متين)	١٣
٥	الحديث الثاني (إياكم والغلو في الدين)	٢٥
٦	الحديث الثالث (أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ)	٣١
٧	الحديث الرابع (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله)	٤٢
٨	الحديث الخامس (هلك المتنطعون)	٥١
١٠	المبحث الثاني (أحاديث النهي عن الغلو في العقيدة دراسة بلاغية)	٥٦
١١	الحديث السادس التنبؤ بظهور الخوارج وذكر أوصافهم (ذو الخويصرة)	٥٦
١٢	الحديث السابع (النهي عن إطراء النبي ﷺ)	٦٧
١٥	الخاتمة	٧٢
١٧	فهرس الأحاديث النبوية	٨٣
١٨	فهرس المصادر والمراجع	٨٤
١٩	فهرس الموضوعات	٨٨

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه.